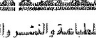
سائر بين الأشواك

جديد.. جديد

قصص قصيرة

كاميليا كمال الدين







قصص قصيرة

سائر بين الأشواك

تأليف
كاميليا كمال الدين



إهداء

إلى

أخى السائر على أشواك الغربة بين دموع وجراح إن أدمت مشاعرك الأيام .. أو أهدرت صباك الأعوام ..

فالمسئولية أمانة .. ومواجهة الشدائد من سمات الرجال ..

فلا تتأسى ولا تندم .. وإن عذرتك حواء .. فأنت قوام الحياة .

إن كان البعض منا يغترب

خارج الأوطان فإن في خلق

الإنسان رحلة إغتراب أبدية

ساتربين الأشواك

من يكتب قصتى .. ؟.

كنت بطلا لرواية لم يكتبها أحد ولم يقرأها أحد ..

رواية عمرها خمسة عشر عاما مضت .. أعيشها فى كل لحظة أنفرد فيها بنفسى .. أراها فى ملامح وجوه .. فى خطوات أقدام .. أحسها فى ضياع الأيام .. فى اغتراب النفوس .. الأقدام تتحرك بسرعة .. الأجساد تميل وتنحنى وتعتدل .. الأيادى تنقل آلات التصوير من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا .. جلست بين الأضواء .. ظلال انعكست على وجهى .. على يدى .. أضواء ترامت على حركة ساق .. على جلستى .. شعاع خافت أضىء على جانب من وجهى .. عكس تقاسيم السنين على بشرتى .. تخلل أحلام صباى المحبوسة فى عيناى .. أيقظ رحلة اغتراب تاهت بى فى دنياى ..

الأجساد تتحرك .. العيون تتلقى إشارات أصابع ماجنة .. تنفذ فى صمت .. « رشدى غلاب » يومىء



ويبتسم .. ويجرى .. ويمضى يدخل من باب .. يخرج من الباب الآخر .. يشير بيده من بعيد .. إشارة معناها « سوف آتى إليك حالا » .

أومىء له .. وأتوه بينهم .. ضجيج .. ارتباك .. ازدحام .. أضواء ملونة تعكس صورتى .. الشعاع لا يتسلل إلى أحاسيس المسجونة فى قلبى .. لا يطوف بما يخامرنى .. لا يسمع ما يجول برأسى « رشدى » يذهب ويعود كالأطياف . يتحرك بكل جسده .. بكل خلاياه كما يفعل المخرجون عادة .. الأصوات تأتى من كل جهه .. تأخذنى نفس ضالة .. « اليوم الأول » ..

أبحث عن « آيات صبرى » بين الزحام .. أجساد تتدافع داخل الطائرة .. شخوصى حائرة ومهرولة وضائعة .. حقائب مبعثرة .. أسفل الطائرة وحقائب أخرى ترفع فوق الشباك .. مكبر الصوت يعلن عن قيام الرحلة .. أحنى رأسى .. أدفع بجسدى من فتحة الباب الدائرى أحيط خصرى بالحزم .. أضيع فى دوامة لحظة الانفصال عن وجودى .. عن وطنى .. عن أهلى .. أرحل على راحة الأقدار .. مأخوذ من أرضه .. مقذوف إلى أرض غريبة ..

عقلى يسجننى .. نفسى تحررنى .. تطلقنى .. أحلق بجناحى فى ذكرياتى .. أسقط بين أمواج الأحداث .. صور وأصوات وشخوص ومناطق وشوارع وزحام ورعونة وشباب وفيض جارف من المشاعر .. يحيى إحساساً مهجوراً فى أعماق .. كان يجلس معى على مقعدى .. أو فى داخلى أو فى قلبى .. يعيد على خيالى صورا متقطعة لأحداث مضت منذ لحظات .. شيطانى دائما يحاورنى .. سألنى ..

- لم تكتوى بنار الفراق .. لم تحترق فى جحيم الأشواق .. ؟ لم تهجر صباك وشبابك وكيان الحُب الكامل وترحل .. ؟
أجيبه فى صدى صوت نبضاتى ..

كنت ألبى صوت نداء .. لا أعرف من أين أتى .. ؟ لعله صوت عقلى أو صوت قلبى .. لعله صووت من خارج نفسى ولعله من داخلها .. أو صوت أقدارى .. ولعله سطر من سطور كتاب حياتى ..

أخذتنى دوامة وجدت أوراق بين يدى .. حقائبى تتجرجر ورائى .. وجدتنى أمضى .. الدموع تنساب من عينى وأمضى .. قدماى ثابتتان فى الأرض .. يشدوننى

أغصبهما .. أجرهما جرا وأمضى .. أرى كل الحياة من حولى .. أهجر إحساس بها .. لا أفكر فى شىء .. أبتعد قبل أن يجرفنى حنين العودة .. جرح ينشق فى صدرى .. يدمى .. يمزقنى بداخله .. روحى تنسحب من جسدى بلا روح أمضى .. أخوض من زحام الى زحام .. تتوافد على رأسى التساؤلات ..

– ماذا ينتظرك فى بلد لم تراه من قبل .. ؟ أنت لا تعرف العناوين ولا الشوارع .. ولا المواصلات .. لا تعرف لهجتهم لا تعرف أحداً هناك سوف تتوه فى بحر الغربة .

لا أجيب .. أمضى .. ولا أفكر .. احتضن زجاجة المياة العذبة .. نفسى تهفو إليها .. أكاد أتعطر بقطرات منها .. أكتم أشواقى فى صدرى .. أهيم بين وجوه الركاب .. ملامح متوترة وحائرة مشحونة بالمشاعر المكتومة .. أشبه بهؤلاء الممثلين .. أشبه بالاستديو الذى دعانى إليه « رشدى » وجوه ضاحكة .. عيون تتقابل وتتلاغى .. أجساد تتمايل .. الطائر الصلب يترنح فى الهواء .. يخترق السحاب .. أطياف اللحظات الماضية

تشدنى .. كنت أتزاحم فى عربة صغيرة .. أهبط سلما .. أصعد أدراجا .. أحنى رأسى .. أدخل فى فتحة الباب الدائرى ..

صوت شيطانى يسخر منى .. أسمع ضحكته ترن فى أذنى ..

– فارس أنت .. ؟ ركبت حصانك ومضيت تاركا كل شيء وراءك .. ؟ فارس أنت .. ؟

ما زلت فى نطاق الحدود .. حدود وطنك .. وأحنيت رأسك .. كل من يركب الطائرة لابد أن يحنى رأسه .. الباب الدائرى لا يقبل أجسادا ممشوقة ولا روسا مرفوعة ..

أحداث الصوت المروع ابتلعتنى .. صوت احتكاك العجلات بالأرض .. جسدى مربوط بالمقعد .. مقيد فى مكانى .. روحى انسحبت منى هناك عيناى تتلفتان حولى .. أمامي .. ورائى .. أبحث عن شيء لا أستطيع تحديده .. المرآة الملعونة على حقيبتى الصغيرة تعكس وجهى .. صوت شيطانى يدوى من مرآتى .

– بالله عليك من أنت .. ؟

هربت منه .. نظرت من النافذة المستديرة المغلقة .. تحت صورتى فى المرآة معلقة بين الجبال والسحاب .. سمعت صوتا شيطانا .. ينطلق فى الفضاء .

– من أنت .. ؟ المهندس « آيات صبرى » أم ملاحظ « آيات صبرى » ؟ « هارب » و « مزور » .. ؟ تنازلت عن بكالوريوس الهندسة لنستخرج جواز سفر يتيح لك الخروج .. ملاحظ عمال .. ؟؟؟

صوت شيطانى يعتصرنى عصرا .. أكاد أصرخ داخل الطائرة .. مسئول أنا .. مسئول عن أسرة أمى وإخوتى وفتاة أحبها .. أبى مات ولم يترك لنا إلا معاشه .. من أين أنفق عليهم جميعا .. ؟

عرض على القيام بأعمال كتابية لا تمت لما تعلمته فى كلية الهندسة بصلة عرض على راتبا شهريا سبعة عشر جنيها .. فتاتى التى أحببتها تقدم لخطبتها اثنان من الأغراب .. رفضتهما .. ووعدتنى أن تنتظرنى فتاة جميلة وأصيلة مجنونة وحنون وطائشة .. أرادتنى دونا عن كل المتقدمين لها .. أرادتنى فارسا .. ألا أكون كفوأ لها .. ؟

أضواء انطفأت .. أضواء أخرى أضيئت .. يدا « رشدى » أشارتا لهذا وذاك .. هنا وهناك .. أراهم يتحركون كما يطالبهم .. يرتدون أثوابا ويخلعون أثوابا .. صوت عنيفا دوى على سمعى ..

قطعة الخشب السوداء المربعة .. ضربت ضربة قاسية .. كلاكيت .. صور .. مشهد رقم (٢) ..

عجلات الطائرة جرت على الأرض .. الباب الدائرى انفتح .. أحنيت رأسى مرة أخرى خلال ثلاث ساعات .. قدماى يتخدران على الدرج .. نسيت نفسى .. نسيت أين ذهبت .. ؟ ولم .. ؟

يدى امتدت خلعت فردتى حذائى .. فتحت أزرار سترتى .. خلعت جوربى .. خيل لى أن الطائرة اشتعلت .. كانت الحرارة تلهب جسدى .. وضعت « حقيبة الشيطان فوق رأسى .. دفعت باب صالة الوصول .. تهت بين غرباء .. لا أعرف أحدا هنا .. ملابس بيضاء .. ملامح وجوه مختفية وراء الملابس .. المطار ساكن هادىء .. بلا صدور تتلاقى .. ولا عيون تتعانق ولا أيادى تتماسك بلا جنون ولا رعونة ولا حميه الدماء الحارة .. لا شىء ..

الكل هادىء ساكن .. أحد لا يعرفني ولا أعرف أحدا .. أين أمضى .. أين أذهب .. ؟ حائر لا يدرى أين قذفته الأيام .. ؟

صوت شيطانى يدوى فى سمعى .. يسمعنى اسمى .. يصور لى صورة يد تشير من بعيد .. أكذبه .. وأمضى .. أسمع اسمى .. صوتا ينادينى .. أخرس شيطانى .. وأمضى .. الوجه المشرب بالحمرة قبالة وجهى .. يد تمسك يدى تجذبنى .. الصورة تقترب من ذاكرتى .. لا أصدق .. هو .. « حسان » الشاب الفلسطينى الذى التقيت به على مقهى فى حى الحسين .. نعم كنت أرسلت له تليغراف أبلغة بموعد صولى .. كنت فاقد الأمل لا أصدق أنه حقا ينتظرنى .. ابتلعت ريقى .. استرددت أنفاس .. ارتميت على صدره .. عانقنى .. رائحة « حى الحسين » ما تزال عالقة بملابسه .. بخور الحى من نوع غريب رائحته دائما تبقى ، وقد تبقى أبد الدهر .. أول بارقة أمل صادفتنى ..

أضواء « الاستوديو » لمعت أمامى .. أيقظتنى كنت سائرا مع « حسان » كان أشبه بدليل أو خارطة تدلنى على معالم البلد الغريب ..

« رشدى » يتحرك بين الممثلين .. نابض ملىء بالحيوية والنشاط .. صوته جياش بالمشاعر ..

حرارة .. انفعال .. وجيه : (استعد) « أحساس بالغربة » ..

سوف يستضيفك فى شقته حتى تجد العمل المناسب .. كلاكيت .. صور ..

الشقة الصغيرة المكونة من حجرة وصالة تحبس خواطرى فى ذكراها .. ثلاثة أسرة فى غرفة واحدة .. مشغولون « بحسان » وزملائه .. لم يكن لى مكان بينهم .. نمت على الأرض .. استنشقت أنفاس أربعة أشخاص ..

كانت لى غرفة خاصة فى بيت أبى .. كنت أستنشق عطر إخواتى البنات .. أنم على فراش وثير الآن ملابس مكومة فى « حقيبة الشيطان » .. ملقاه فى ركن على الأرض .. أمى كانت تعنى بأشيائى .. تصففها فى دولاب ملابس بيديها .. كل شىء هنا مختلف تمام .. نقودى نفدت بعد مرر بضعة أيام .. أصبحت عاله على « حسان » وزملائه .. لا أستطيع أن أبقى ولا أستطيع أن أعود .. أمى باعت كل ما تبقي لها من مجوهرات واستدانت من أقاربنا ..

كى أنفق على هذه الرحلة .. كيف أعود صفر اليدين .. ؟

لم يتبق إلا أنى ألملم أشيائى .. وأرحل .. لا أعرف أين أمضى .. ؟ لعلى ابن ضال ، أو شارد بين الأوطان ..

كنت بمفردى فى الشقة .. انفتح الباب .. كان « حسان » يرقص ويغنى .. الفرحة تطل من عينيه .. بعثر أشيائى .. أخرجها من الحقيقة وأخذ ينشرها .. ثم قال وهو يعانقنى .. « لن تمضى » ..

ورمى الجريدة فى وجهى وهو يشير إلى إعلان واضح ..

مطلوب مهندس معمارى متخصص لشركة فنادق ..

آلات التصوير تتحرك من حولى .. الكشافات تلقى الضوء على وجهى .. أفيق من غفوتى أعود إلى عالم الاستديو .. صوت « رشدى » كعاصفة هوجاء ..

- « وجيه » سوف تظل بملابسك الريفية .. أصيلة « تأتى من بعيد .. رأسها معصوب بعصابة خضراء .. وجهها مشرق عيناها لا معتان .. ألقى الضوء على شعرها الأسود الطويل ..

يديه مستندة على ظهر المقعد .. سؤاله يطل من فوق رأسى :

– تسلمت العقد .. ؟

كان يوما غريبا .. بداية ونهاية .. لقاء وفراق .. مضيت العقد مع الشركة .. عقد ينص على إقامة ألف شاليه على الشاطىء .. مساحة مائتى فدان صحراء لم تطأها قدم بشرى .. أقمت فى خيمة .. افترقت عن « حسان » .. لأول مرة منذ جئت إلى هذا البلد .. بعدت عن العمران مسافة ستين كيلومترا .. لم أر وجها بشريا إلا وجه الخفير المخصص لحراستى و « جوكى » الكلب الوولف ..

كأنى أتعلم الحياة منذ البداية .. أتعلم كيف أتعامل مع الوحوش.. ثعابين وعقارب .. وأشياء أخرى .. وحوش صحراء .. تحررت من قلبى .. من وجدانى من تدليل أمى وعائلتى .. وأدت كل مشاعرى فى أعماق .. كنت أفكر فى شىء واحد .. كيف تتحول كل هذه المساحة إلى شاطىء .. مصيف خاص بالأمراء .. وعائلاتهم .. بدأت أشق الصحراء .. قلب جاف من الحب والحنان .. ظمىء إلى كلمة عطف أو إحساس بالمودة .. كنت أتنفس لهيبا فى ليالى الصيف الحارقة .. أرتوى ماءا مالحا .. أتشوق لنسمة هواء باردة من تلك النسمات المارة بشاطىء النيل .. وكلما هفا قلبى إلى موطنى دوت فى سمعى كلمة .. الأجنبى ..

سمعتها يوم قدمت أوراق إلى شركة الفنادق .. مدير الشركة أشار إلى سكرتيره وقال : المهندس « أيات صبرى » أجنبى ..

تلفت حولى .. بحثت بين مقاعد المكتب .. لعل هناك « أيات صبرى » أخر أجنبيا .. لكنى لم أجد غير وجهى ووجه مدير الشركة وسكرتيره ..

عرفت أنى جئت لأعمل فقط .. ولا شيء آخر ..

يدا « رشدى » تحسستا المنضدة .. وجهه صوب آلات التصوير .. عقله وتفكيره ومشاعره .. كل كيانه منصهر مع المشهد .. أصابعه تبحث عن الولاعة .. صوته ملىء بالحيوية والشباب ..

إحساس بالفراق .. مشاعر ألم .. استمر ..

الصحراء تتسلل إلى الاستديو .. ترحل بى من بينهم .. تعيدنى إليها .. كنت أصنع الشاى فوق موقد من الحطب .. خيالى يسبح فى النيران المشتعلة والمتراقصة مع الهواء .. أرحل فى ملامح وجه أمى .. أرى طائرا حط على رمال الشاطىء ثم نشر جناحيه ومضى .. أتابعه بعيناى .. أتمنى لو تعلمت لغته .. أتمنى لو أخاطب أى طائر قد يكون

مسافرا إليها .. قلبى يهفو إلى زائر لم يغتسل من رائحة هوى موطنى .. وسرعان ما يتلاشى الحلم .. اين ألتقى بهذا الزائر .. ؟ فى الصحراء .. ؟

كلما رحل خيالى إليها أحسست بالأمان يسرى فى قلبى .. قد أقبض يدى على حفنة من الرمال أصب بين ذراتها لوعة اشتياق .. وقد أسكب آمال العودة دموعاً تروى شاطىء غربتى .. وقد أخط رسائل أستمد فيها لمسات من الدفء تعيننى وتقوى صلابتى ..

يدى انسحبت من جانبى .. تسللت إلى المقعد المجاور أصابعى كانت تتحسس كتف « رشدى » ذراعى تهاوى فى الهواء .. « رشدى » وقف بين آلات التصوير .. عدل فى الإضاءة .. وضع لمسات خفيفة على ملابس الممثلين .. نظر إلى من بعيد أومأ .. وابتسم وأشار بيده ..

- صور مشهد (١) إعادة ..

عيناى تتأملان وجه « رشدى غلاب » صديق طفولتى .. ما زال نضرا .. الشعرات البيضاء القليلة زادته رونقا .. كأنه لم يتخط الأربعين من العمر .. ترى ماذا فعلت بوجهى السنون .. ؟

سبعة أعوام مضت بى فى الصحراء .. بين العواصف والرياح .. والتهاب الطقس يدى وهى تمسك بجدار الشاليه .. قدماى وهما متمسكان بالرمال .. الرياح الهوجاء تشدنى إلى البحر .. خطوة واحدة بينى وبين باب الشالية .. أما خطوتها أو ابتلعنى البحر .. مشهد لن يفارق خيالى .. لا أعرف كيف كتبت لى النجاه . ؟ فى هذه اللحظة .. عندما نجوت .. ازداد حنينى إلى أمى .. بكيت .. رأيت مساجد مصر ومعابدها من وراء سحابة من الدموع .. بدا « رشدى » أحاطنا مقعدى .. ثم تحركنا .. يد فوق كتفى وبد أمسكت بالسيجار .. أصابعه أشارت للمثلين .. السيجار سقط من بين شفتيه .. وقع بين قدميه .. الدم غلى فى عروقه .. الكلام ارتج فى حنجرته ..

- الحب .. الحب يا أخى ألم تشعر بالحب يوما .. ؟

الحلم طاف بذاكرتى .. كنت مسترخيا فى فراشى .. أرى ثوبا يحلق فى الهواء .. أسمع صوت فرملة سيارة أمام باب الشالية .. أشم رائحة عطر نسائى .. أجد « جوكى » راقدا تحت السرير .. أنفاسه تملأ الشالية .. الصوت يقترب « جوكى » ينبح .. الفراش انزاح بيدى .. نهضت ..

فتحت الباب « شيطانى » دائما يصور أشياء جنوبية .

الثوب الوردى يرفرف فى الهواء .. الشعر الذهبى مسترسل حتى الخصر حلم تجسد فى امرأة .. مشيت أمامها .. ثم تلكأت ومشيت وراءها .. اقتربت .. ثم أبتعدت .. لم تكن حلما .. كانت امرأة لمحتنى حقا ..

ابتسمت .. واقتربت منى .. ورددت الابتسامة واقتربت منها .. مشينا متجاورين قالت : قرأت اسمك على المشروع « مهندس منفذ أيات صبرى » .. ؟

أومات .. وابتسمت .

قالت : أميرة حنان ..

– أجنبية .. ؟

ضحكت وقالت : كنت .. لأنى لبنانية الأصل ..

– وماذا حدث .. ؟

– تزوجت من أمير يكبرنى بخمسين عاما .

وابتسمت وقالت :

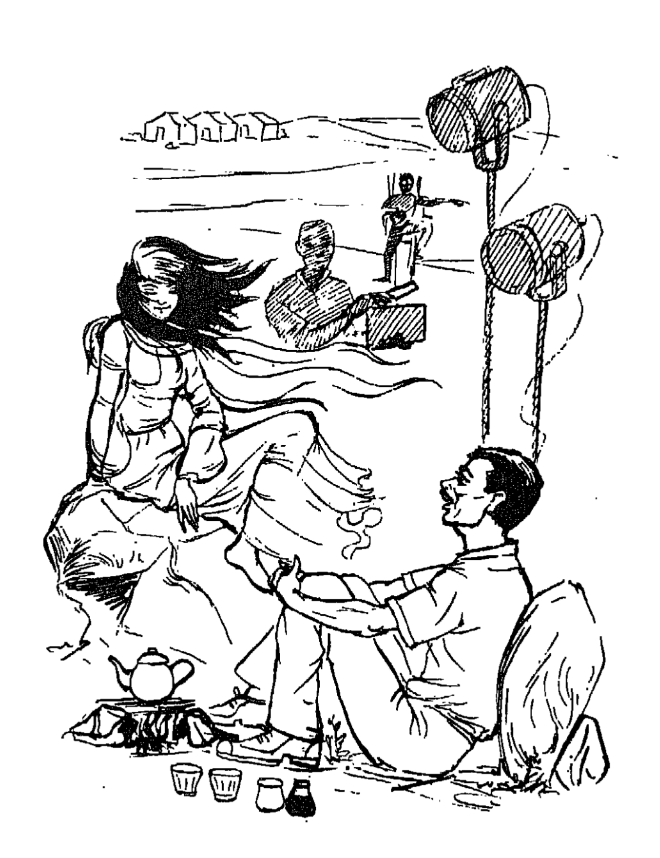
– مصرى .. ؟

– نعم ..



تكلمنا كثير .. كثير جدا .. أحسست بقلبي يرفرف فى صدرى .. سمعت صوت نبضاته .. أحسست بيقظة شبابى الضائع .. مشينا وجلسنا على الرمال .. ومشينا مرة أخرى .. مرت ساعات وراء ساعات .. يوم بكاملة .. مر كلمح البصر .. اتفقنا أن نلتقى فى اليوم التالى .. وفى اليوم التالى اتفقنا أن نتلاقى يوميا نسيت أنها أميرة ونسيت أنى أجنبى .. وعشنا أياما كما الأساطير تغيرت .. الشباب نطق من لمساتى من ضحكاتى حتى فى لون بشرتى ..

كنا نجلس على الرمال أمام موقد الحطب .. نشوى الأوزى .. ونصنع الشاى أحرارار .. لم نتقيد بمجتمع ولا تقاليد .. كانت أجتبية مثلى .. عشنا معا حياة بدو الصحراء .. بدائية .. بعيدة عن العمران .. منطلقة ومتحررة من الأبنية والآلات والمصانع والبترول .. كنا نصارع العواصف معا .. نعبث ونلهو .. نحاول أن نكلم الصخور .. والرياح والطيور .. ننسى غربتنا عن أوطاننا فى غربة الإنسان فى الحياة .. نتوه معا فى محراب الغربتين .. نلقى بأسلحتنا بين الأمواج .. أمواج البحر وأمواج الحياة .. نسينا أنفسنا .. نسيت أنها أميرة .. عرضت أن



تمنحنى مبلغا كبيرا من المال أعود به إلى مصر وأحقق كل أحلامى. وطموحاتى ..

ذراع « رشدى » تتموج فى البلاتوه .. (شاراته تتوزع بين هذا وذاك .. طبقات صوته تتقلب وتتغير ..

– استمر .. المشهد رائع .. موقف ملىء بالمشاعر .. وافقت .. ؟

– رفضت ..

– غبى .. غبى استوب ..

غبى .. ؟ مؤلمة هذه الكلمة ..

كيف أنفق على أمى واخوتى من أموال الأميرة ؟ كانت سوف تسجنى .. كيف أتزوج فتاتى من أموال (امرأة أخرى) .. ؟

كيف أستشعر بمذاق جهدى وكفاحى ؟ أبيع مشاعرى لا مرأة .. !

أفقد لذة الانتصار .. ! أفقد نفسى ؟ أفقد غرور الرجل .. ؟

صوت « رشدى » يدوى فى البلاتوه .. يدخل إلى رأسى ..

– أحمق – متكبر .. أنت أحببتها ..

الحب قدر .. لم أختر أقدارى .. السعادة طيف عابر .. كالحلم تمضى وتعيش على ذكراها .. عائلات الأمراء .. استأجرت الشاليهات .. علاقتى بحنان كانت واضحة .. لم أستطع إخفاءها .. زوجها أمير . والأمراء يعرفون بعضهم .. وهى تقابلنى على الشاطىء يوميا ..

قدما « رشدى » يتحركان .. يده تشير إلى بعيد .. صوته يؤثرنى .

– إلى أين تسير .. تحت قدميك أسلاك .. وإلى جوارك أسلاك ..

الشعاع انعكس على وجهى .. الأضواء مركزة على عينىّ .

الورقة متروكة على المقعد داخل الشالية ..

استدعاء فى مقر الشركة بطلب عودتى فورا .. بسرعة عدت إلى مقر الشركة بسرعة طولبت بتقديم استقالتى .. نظرات مدير الشركة كانت متشككة مرتابة .. قدمت استقالتى .. ومشيت .. لا أعرف أين أعمل .. ؟ ولا أين أقيم .. ؟

كنت حائرا أسأل نفسى .. لم أجبر على الاستقالة بعد عشرة أعوام مضت ؟

حققت خلالها ما كان فى حكم المستحيل .. ألف شالية مشيدة على الشاطىء .. صحراء قاحلة تحولت إلى منطقة عامرة حافلة بكل الخدمات .. تركت ابنا لى .. ابن تبنيته .. أعوام عمرى مهدرة بين الرمال الموحشة الصفراء .. تركت خلفى مصيفا عامرا بالحياة ..

شفتا « رشدى » تبتسمان .. رأسه تومىء من بعيد .. صوته يتبعثر فى المكان ..

- وهى .. هى .. ماذا فعلت .. ؟

صورة الأميرة « حنان » تطوف بذاكرتى .. كانت السبب فى تقديم استقالتى .. حاولت أن تساعدنى دون أن يشعر زوجها .. لكنى رفضت .. وشعرت هى أن الشبهات تحوم حولى سبب علاقتى بها .. انقطعت عنى تماما .. خافت أن يزج بى فى سجن من سجون الأجانب ..

استوب ..

اخلع الثوب يا وجيه .. ارتدى ثوب المدينة .. غير الملابس الريفية ..

وجهزوا أنفسكم .. سوف أشرب كوبا من الشاى وأعود إليكم ..

ذراع « رشدى » أحاطت كتفى .. أصابعه عبثت برأسى ..

– والله زمان يا آيات عمر مضى ..

قبل أن أجيب .. وجدت « رشدى » (يشير فى كل اتجاه .. الكلام يخرج من جانب واحد على شفتيه ..

– أضواء .. البطل يدخل الآن .. أنت الآن خاوى الوفاض .. سوف تبدأ من الصفر ..

المدينة أضواؤها خافتة .. ساكنة جدا .. لم أعش فيها غير أيام قليلة مع « حسان » وزملائه .. عدت إليها مرة أخرى .. أتجول بين الأحياء بسيارتى .. أبحث عن مشروع صغير أقيمه بمجهودى .. بلا إدارة ولا مدير .. ولا وظيفة ولا استقالة .. مشروع خاص بى ..

أيام .. وأيام .. مضت .. استأجرت شقة صغيرة ووضعت فيها بعض الأثاثات .. كنت بدون عمل .. أجوب الشوارع وأرفع وجهى للسماء .. اتساءل .. من أين نبدأ البداية .. ؟

حائر لا أعرف أين أمضى .. ؟ حتى سيارتى تعبت التجوال .. أصابها عطب مفاجىء أمام مقهى شعبى بسيط . زبائنه من عمال المبانى .. مقاعده بالية ومجربة .. أضواؤه قاتمة وخافتة .. كان كئيبا جدا .. جلست أشرب فنجانا من القهوة .. وفتحت أبواب سيارتى وتركتها .. صاحب المقهى قال :

– تحتاج إلى مساعدة .. ؟

كانت كلمة .. بعدها عرفت منه أن المقهى أوشك على الإفلاس .. أخذنا نتحدث .

عرف أنى « مهندس معمارى » – وانتهى الحديث بيننا بعقد استئجار المقهى ..

بدأ العمل فى تطوير المقهى .. وضعت حصيلة الأعوام الماضية فى كافيتيريا « الصفا » .. بعد عدة أشهر تم الافتتاح .. تغيرت تماما .. أضواؤها مبهرة .. مصممة على طراز شرقى .. كانت متخصصة فى تقديم الوجبات المصرية .. جمعت المصريين المغتربين بين مقاعدها .. كانت تسهر حتى مطلع الفجر .. بدأت ألمح جانبا من وجه وطنى .. لكن شيئا كان مفقودا .. الروح .. أين الروح

المصرية ؟ كان سؤالا حائرا فى نفسى ..

صوت « رشدى » دائما يفيقنى ويعيدنى إلى البلاتوه ..

إنت يا « وجيه » ما زلت بملابس المدينة .. الحقيقة لن تنطفىء .. « أخيلة » تجلس أمام فرن العجين .. تصوير ..

– كان يحبك .. ؟ صاحبه .. اقصد هى .. هى .. أنت يا أخى .. سامع أنا ..

دائما « رشدى » يأخذنى من أرض الغربة ويعيدنى إلى الاستديو ثم يقذفنى مرة أخرى .. أعود إلى هناك .. أرحل فى معنى الحب .. كل منا يعرف الحب بطريقته الخاصة .. وصاحب مقهى « الصفا » كان يعرف الحب من خلال نظرته هو .. كان يحب المال .. حبا جنونيا .. عندما اشتهرت الكافيتريا .. وعرفت فى البلدة كلها .. رأى أن يستأثر هو بكل الأرباح .. طالبنى بفسخ العقد .. لم أستطيع أن أرفض .. غريب أنا لست فى موطنى .. تركت الكافيتريا .. بكل ما فيها .. إلا ثلاجة صغيرة كنت اشتريتها .. اقتربت منها وكدت أحملها .. أشارت يده أوقفتنى .. صوته الغليظ صم سمعى ..

- دع هذه .. الثلاجة ضمن محتويات الكافيتيريا ..

مشيت فوق دموع لم تنحدر .. أغلقت باب شقتى ورائى .. وجلست على سجادة الصلاة .. أبكى وأصلى .. وأرفع وجهى للسماء ..

القطعة الخشبية السوداء .. تضرب ضربة عنيفة .. انبهتنى ..

كلاكيت .. مشهد (٢) .

- هل اعترضت على الموقف ؟

صورة الجريدة تطل من بين صفحات جريدة ممزقة تحت قدمى « رشدى » .. المانشيت العريض يزداد وضوحا .

- حريق ضخم « بكافيتريا الصفا » بسبب ماس كهربائى .

- الحق لا يضيع .. استمر ..

دموعى ترقرقت فى عينى .. حروف ارتجفت على شفتى .. ثلاجتى تسببت فى الحريق .. وجدتنى أهرول على الدرج .. أقود سيارتى بجنون .. أقف أمام ما بنيته بجهودى وشقائى .. مذهولا .. ضائعا .. مشتتا .. جهدى احترق أمامى .. كانت الدموع تنهمر من عينى .. وشيطانى

يداعبني .. صور لى يد اتربت على كتفى .. أسمعنى صوتا يكلمنى ..

– مهندس « آيات صبرى »... ؟

شيطانى دائما يقابلنى .. بأوهام وأطياف من وحى خياله .. لعله قد صور لى شبحا .. يده تربت على كتفى وصوته ينادينى فى أذنى ..

– مهندس « آيات صبرى » .. ؟ نسيت « الشيخ سليمان » .. ؟

تلفت روائى .. هو .. الشيخ سلمان مستأجر الشالية رقم « ٧ » ..

صافحته والدموع مسجونة فى عينى .. قال :

– لا تتأسى هكذا يا أخى .. هذا قدر .. ضاع ما ضاع لا تهتم .. تعال تعالى معى ..

ركبت معه سيارته « الروزلرزريس » حطم الطريق .. الساكن .. شق الشوارع الخاصة والمحظورة .. خاض بين القصور .. انحرف من شارع رئيسى .. وأوقف سيارته أمام محل كبير له أربعة أبواب .. مكتوب عليه لافته باهتة .. « ورشة الشيخ سلمان » .. أنزلنى من سيارته وقال :

- أترى .. ؟ خذ هذا .. افعل به ما تشاء وسوف نتقاسم الأرباح ..

إشراقة الأمل اختلطت مع إحساس غامض بالخوف من المجهول ..

ترددت كثيرا فى أن أقبل أو أرفض .. وفى نهاية الأمر قبلت ..

وفى صباح اليوم التالى .. بدأت العمل .. فى كافتيريا .. «عمر الخيام» كل جهدى .. بكل جصيلة الأعوام السابقة ..

ولم تمضى غير فترة قصيرة .. وتم افتتاح الكافيتيريا .. كانت أشهر كافيتيريا تقدم الوجبات المصرية .. تمتعت بشهرة لم تشهدها البلد من قبل أضواؤها كانت تتلألأ كما تتلالا الأضواء على شاطىء النيل .. قدمت الوجبات المصرية إلى حد أننى قدمت الحمض الشام والترمس .. وأتيت بالعمال والطباخين المتخصصين فى مصر .. ولو تمكنت لقدمت زجاجات من مياه النيل ..

الصوت يدوى فى البلاتوه ..

إضاءة إضاءة . بروفة مرة أخرى مشهد « إعادة شفتاه

تبتسم .. عيناه تتكلمان ، صوته قريب من سمعى ..

– من الذى أصلح السيارة .. ؟

ضحكة تلقائية من بين شفتى .. الأيام تتوافد على ذاكرتى دفعة واحدة .. أقرأ سطور فى كتاب حياتى ..

كافيتريا « الصفا » عادت مقهى شعبى كما كانت .. و « الشيخ سليمان » طالبنى بفسخ العقد « الأميرة حنان » اعتادت أن تمر بسيارتها أمام « عمر الخيام » وكثيرا ما كانت تشترى بعض الوجبات المصرية .. حقا الوصول إلى القمة سهل ولكن الثبات فوق القمة عسير .. تحطمت كل أحلامى لحظة .. لعل القدر قد أراد أن تنتهى رحلتى فى هذا البلد .. ولعله قد أصبح من المتسحيل وجودى .. ووجود « حنان » فى بلد واحد .. مصيرى تعلق على هذه العلاقة التى طاردتنى منذ أعوام .. كان لابد أن أرحل إلى بلد آخر .. لا توجد فيه الأميرة « حنان » .. ابدأ من جديد .. رحلة غربة جديدة ..

« كاميرا » .. « صور » .. تكلم يا أصيلة .. أضاعتك الحياة .. ؟

قذفتك إلى عابر البحر .. ؟



« استوب » .. اقف .. « الشيخ حامد » سوف يجلس على شاطىء النيل يردد قصيدة قديمة .. « شيخ حامد » .. ارتدى ملابس الدور .. دائما تخرج ما بداخلى يا « رشدى » .. تعيدنى إلى أيام غربتى .. تذكرنى بآلامى دون أن تدرى .. وجه « عابد البحر » يخايل وجهى يطل بين وجوه الممثلين .. تخدعنى ابتسامته .. أجهل ما كانت تخفيه وراءها .. كان يتزاور مع « الشيخ سلمان » فى منطقة الشاليهات .. تعارفنا .. نمت بيننا صداقة .. عرض على أن نؤسس شركة مقاولات .. رفضت لأنى كنت مسئولا عن المصيف .. لم أتذكر هذا العرض إلا عندما كنت فى « لبنان » .. فكرت أن أرسل إليه وأذكره بهذا لعرض .. وصلته رسالتى .. ووصلتنى رسالته « ما زلت على ما وعدتك به » سافرت إليه فى موطنه الأصلى أستقبلنى بالترحاب كان صدره واسعا .. أحسست بصداقته الحقة .. استأجرت شقة هناك .. وأثثتها من جديد .. ومضينا عقد تأسيس شركة ومقاولات .. بنينا مستشفى .. ومدرسة .. وعدة مساكن .. كان اسمى مكتوبا على معظم المشروعات الكبيرة .. وعندما حققت كل هذا النجاح وكل هذه الشهرة كان عمرى قد مضى .. كنت قد جاوزت الأربعين

من العمر .. والشعرات البيضاء زحفت إلى رأسى .. مشاعرى جفت بين ضلوعى .. ضقت من حياة عشتها بلا روح .. مضيت أخر تعاقد على بناء مستشفى جديد على مضض ..

كان العمل ما يزال فى بدايته .. عندما وصلنى تلغراف من أمى تدعونى للعودة فورا .. قررت فسخ العقد .. لكن « عابد البحر » رفض بإصرار ..

كنت حائرا بين أمرين عملى وارتباطاتى ونداء أمى .. اتخذت أسرع قرار فى حياتى .. حولت كل مدخراتى على بنك مصر .. وعدت .. استعدت روحى المسلوبة .. استرددت حياتى الضائعة .. عدت أستنشق عبير الحياة .. أخذتنى غفوة السعادة نسيت أعوام غربتى .. نسيت شقائى انطلقت فى شوارع وطنى .. أحسست بالأمان .. بالحنان فى صدر أمى .. نسيت أنى تركت هناك سيارتى وأثاث بيتى .. قررت أن أعود لمدة ثلاثة أيام فقط .. ثم استقر فى مصر إلى الأبد ..

– أمى رفضت أن أعود .. لكن صممت .. إخوتى صمموا ألا أعود ولكن صممت ..

- يدا ، رشدى ، تصفقان .. كلامه ينطلق فى بحر الزحام ..

- أخذتك الدوامة .. ؟

أحسست أن رأسى يدور ، الأحداث تلفنى .. تطوينى .. سيارتى قد أرسلتها للمطار .. أثاث بيتى .. كل شىء .. جلست على الأرض أنتظر مرور الساعات القليلة الباقية على موعد الطائرة العائدة إلى مصر .. كنت أحلق بجناحى .. أكاد أطير فرحا .. أرفرف بجناحى .. فوق شاطىء النيل .. طرقات الباب تدق فى سمعى .. أكلم نفسى سوف أقضى الصيف فى الأسكندرية .. والشتاء فى أسوان ..

أسمع طرقات الباب لا أصدق .. الساعة الآن الثالثة صباحا .. لم يبق إلا ساعات قليلة .. وأعود إلى مصر .. أكاد أسارع الدقائق والساعات .. الباب يدق بعنف .. أيادى كثيرة تطرق الباب .. أعرف أنى أتوهم شيطانى دائما يصور أشياء جنونية من الطارق .. ؟ .. دقات الباب تتزايد .. لابد أنى أهلوس .. ضلفة الباب انفتحت .. وجوه كثيرة فى الردهة .. لعلهم ستة أشخاص أو سبعة ..

أحاطونى .. أسلحة مصوبة إلى صدرى .. قدماى يتسمران فى الأرض ..

عيون شرسه تلتهمنى .. أصوات خشنة تأمرنى بلهجة جامدة حادة ..

– تفضل معنا .

كنت بملابس النوم .. الأسلحة مصوبة فى ظهرى .. تقودنى لا أعرف أين أمضى .. ؟

أهبط الدرج بين الأسلحة .. عصابة سوداء غممت عينى .. ارتبطت حول رأسى .. أيادى دفعتنى فى عربة مغلقة .. لا أعرف أين تمضى السيارة .. ؟ لا أرى شيئا الباب انفتح .. يد شدتنى ويد دفعتنى .. أسلحة أحاطتنى .. لا أعرف أين قادوننى .. ؟ يد دفعتنى داخل حجرة مظلمة .. باب حديدى .. أغلق على .. صرخت كما يفعل المعتقلون .. ضربت الباب بيدى .. أين أنا .. ؟ لا أعرف .. كم يوما أو كم عاما سأبقى هنا .. ؟

لم أرى وجها غير وجه السجان .. لم أحال للتحقيق .. لا أعرف التهمة الموجهة إلى .. كنت أصرخ .. أعيدونى إلى وطنى .. أريد أن أرى وجها مصريا .. أصرخ بأعلى صوتى

أعيدونى إلى مصر .. حاكمونى فى محاكمها .. أخبرونى بتهمتى .. أحد لم يسمعنى .. أحد لم يجب .. أيام مضت .. لا أعرف عددها مسجون تحت الأرض فى معتقل سياسى لا أعرف جريمتى .. ؟ بماذا اتهمت .. ؟

هل سأرى مصر مرة أخرى .. أم تنتهى حياتى تحت أرض بلد غريب .. ؟

أى جريمة ارتكبتها تستحق هذا العقاب .. ؟ منفى تحت الأرض .. ؟ لم .. ؟ من يعرف طريقى .. ؟ من يعرف أنى مسجون هنا .. ؟ أمى وإخوتى .. أمى لو فقدت الأمل فى عودتى سوف تموت حزنا على .. أصرخ بأعلى صوتى .. أدق الباب الحديدى بيدى .. أحد لا يجيب .. الساعات تلتف فى ثوب الظلام .. الأيام تمضى ليل طويل لا ينتهى .. ثلاثون يوما تحت الأرض .. فى مقابر الأحياء .. لا أرى غير وجه السجان .. لا يكلمنى .. ثلاثون يوما فقدت الأمل فى الخروج من هذه الزنزانة .. دفنت حيا .. أجهل مصيرى هنا تحت الأرض .. بعد ثلاثين يوما انفتح باب الزنزانة .. وجدت أمامى ملابس بيضاء .. وابتسامه مزيفة .. قال :

– شيخ ضاحى من طرف عابد البحر ..

لم أتكلم كانت ذقنى طويلة .. ملابس متسخة .. عيناى ذائغتان .. قال مهندس « آيات صبرى » ما رأيك لو نتفاوض .. ؟

كنت خائفا متوجسا .. أتكلم وأرتعش ..

– نتفارض .. ؟ على ما .. ؟

جلس إلى جوارى على الأرض وقال وهو يربت على كتفى ..

– أنت حولت كل مدخراتك على بنك مصر .. أعدها إلى بنك من بنوك البلد عندما واشترى حريتك ..

كدت أجن .. انتقضت .. زعقت ..

– إما أن أهدر عمرى أو أهدر حريتى .. ؟ تساومنى على الحرية .. ؟

تسلب خمسة عشر عاما من عمرى بحرية ممنوحة .. ؟ أخرج من هنا .. أخرج .. لن أشترى حريتى بالمال .. أريد حكما عادلا بالبراءة .. أريد محكمة تحاكمنى .. دفعته بيدى .. خرج من الزنزانة وأغلق الباب وراءه .. وجلست على الأرض أريد أن أحطم أسوار سجنى .. أشق

الجدران .. لا أعرف مصيرى فى هذه الزنزانة الموحشة .. خمسون يوما مضت .. عشت أقسى أيام حياتى .. فقدت الأمل فى العودة إلى مصر .. كنت أدعو الله جل شأنه أن يخرجنى من هذه الأزمة .. بعد خمسين يوما من الألم والمرار انفتح الباب المغلق .. قادونى إلى المحاكمة .. عرفت بعد ذلك أن أمى اتصلت بوزارة الخارجية المصرية .. وأن الخارجية اتصلت بالسفارة المصرية وأن السفارة طلبت مقابلة وزير العدل .. وتشددت فى طلب محاكمتى .. رأيت وجه السفير المصرى .. من يعرف مصرى فى بلد غريب ماذا تعنى .. ؟

قدمونى للمحاكمة .. عرفت أننى متهم بفسخ العقد مع شركة عابد البحر وتعطيل العمل فى المستشفى .. المهندس الإنجليزى الجنسية كان الشاهد الوحيد.. شهد ببراءتى فى القضية .. شهد أننى لم أتقاضى أى مقابل مادى فى عقد المستشفى الذى لم يتم بناءه ..

وحكمت بالبراءة .. حصلت على براءتى .. بعدما فقدت الأمل فى الحياة .. عدت إلى صدر أمى .. رويت تراب مصر بدموعى .. قبلت أرضها .. عادت إلى روحى المسلوبة ..

– استوب ..

اعزف مقطوعة شمس الأصيل .. « صور » الشمس تنعكس على صفحة النيل « وجيه » يعود إلى جلبابة .. أصيلة تلتقى معه بين الزهور ..

أصيلة تجرى بين الزهور ......البـــــداية

الكلمة ترددت فى سمعى .. البداية .. كفان غليظان صفقا تصفيقا عاليا .. الكلمة ألحت على سمعى .. البداية .. « رشدى غلاب » ربت على كتفى ، لكن الكلمة ما تزال تلح على سمعى .. البداية .. شفتاه اقتربتا من سمعى :

ماذا عندك .. ؟

قصة مغترب .. سافر إلى صحراء بلد بعيد .. عاش فى شاطىء منعزل كان يبنى من أجل الأثرياء والأمراء .. وأصحاب الأعمال .. لم يجد أحدا إلى جواره .. قلبه ظمأ إلى الحنان .. لم يرتو إلا عندما ساقها القدر إليه .. كانت أميرة متزوجة بأمير أعطته الحب المدمر .. لم يستجب لها .. أو .. تستطيع أن تقول .. هى ؟ أصل ! ضحك .. ضحكة سينمائية ثم قال :

– استجاب .. عندما استجاب لم يجدها .. الحلم ما يزال يطاردك .. ذكريات الماضى لم تتنازل عنك ..

السفر .. القرية .. الخوف من المجهول .. و « حنان » ..
قاطعته ..

– ماتزال تحبنى .. ؟

أحاط رأسه بكفيه ثم قال :

– من هى .. ! فى أول قصة كتبها كانت زميلتك فى الجامعة وسافرت لتحصل على الدكتوراه ودفعتك للبحث فى بلاد الله .

وفى القصة الثانية كانت ابنه الأستاذ الجامعى الذى ظل يطهدك حتى تخرجت من الجامعة .. ثم رفض زواجك منها .. ولم تحتمل الأزمة واضطررت للسفر للخارج .. وفى المرة الثالثة أصبحت أميرة زوجة أمير .. ؟ إلى أين قادتك هذا المرة .. ؟

لا أعرف كيف أجيبته .. ؟

– قادتنى إلى السجن ..

صفق بيديه تصفيقا عاليا ثم قال بلهجة ساخرة ..

– برافو .. ستظل ترى المرأة سببا لهزيمة الرجل .. ؟ ستظل تجعلها سببا لا غترابه .. ؟ إلى متى .. ؟

– إلى يوم القيامة ..

أطلق ضحكة تمتلىء شبابا وغرورا وقال :

– حكاية قديمة .. تهيأ نفسيا للانشغال ببطلة أخرى .. فتاة معاصرة تواجه كل مصاعب الحياة .. تبحث عن الحب فى الزمن الصعب .. أحداث معاصرة تشد المشاهد .

– أوهام .. هذه الفتاة وحى خيالك .. لا توجد مصاعب ولا زمن صعب .. « أيات صبرى » شاب مكافح ظلمته الظروف .. اغترب عن أهله ووطنه .. طحنته الغربة .. ثم سجنته .. ثم ..

قاطعنى بلهجة حادة ..

شخصية متكررة .. كيف أقدمها للمشاهد .. ؟ الجمهور لا تهمة هذه الموضوعات .. لم يعد مادة للتشويق .. الناس تريد أفكارا جديدة .. أحاسيس أكثر حمية .. أكثر مواكبه للظروف الحالية .. المشاهد يريد حياته هو .. التى يحياها .. أحداث قصتك لن يتفاعل معها أحد .. أفق .. أفق يا أستاذ « كريم » .

.. لن أكتب مثلما يريد « رشدى غلاب » .. لن أعترف أن المرأة مظلومة ولا أعتصرها العصر .. المرأة هى سبب كل المشاكل .. سبب الاغتراب .. والسجن

الأبدى .. أبدا لن تغيرنى أفكار « رشدى غلاب » مزقت أوراقى .. بعثرتها .. لا أعرف كم من الزمن غفوت .. ؟ « رشدى غلاب » انحنى وأخذ يلملم أوراقى المبعثرة .. ضحك وقال :

- حتما سوف نتفاهم .. تعالى معى ..

لا أدرى كيف صفحت عنه .. ؟

أوراقى الممزقة بين يديه ..

وهو سائر إلى جوارى على شاطىء النيل .. يربت على كتفى ويضحك .. ويداعبنى بقوله .

- أما تزال المرأة سبب الغربة ..

- حتما ..

الملهاة

يحدث ما يحدث .. يتهدم البيت على من فيه .. ماذا بيدى أن أفعل ؟ !! كل منهم فى عالمه الخاص .. كلهم يضحكون .. أمام أعظم المشاكل يضحكون ... أمام المواقف المؤسفة يضحكون ..

لم يشعروا بمجيئى .. أو شعروا ولم يبالوا ..

« دلال » زوجتى تتحدث فى التليفون وتضحك .. أمى « غالية هانم » تشاهد مسرحية فكاهية وتضحك .. شقيقتى تجلس على مقعد من « الفوتيل » الضخم وإلى جوارها رجل غريب لم آراه قبل اليوم يهمسان بالكلام ويضحكان معا ..

كان لابد أن أضحك .. بعد أن أعرف كل شىء بعد أن أصبح مثلهم لابد أن أضحك .. بعد أن أنسى أننى أقف الآن فى ردهة البيت .. (بيتى) .. كالمغترب لا أعرف عن أمرهن شيئا .. تدافعن نحوى .. اغرقننى عناقا وقبلات حملن عنى حقائبى .. كأنهن يحاولن اكتساب رضاى أو موافقتى على أشياء أجهلها .. وجوههن تغيرت .. لا أعرف كيف

صارلونها ؟ شحوب أم احمرارا .. ؟ عيونهن تغيرت .. فرحة بلهاء .. أم توتر وارتباك توارى خلف أحضان وقبلات .. ؟ كلهن يخفين أشياء .. عيونهن تنطق .. تحدثنى حديث الغرباء .. يرتمين على صدرى ويقبلوننى أشعر أن بينى وبينهن أشياء وأشياء لعلها عوالم أخرى أجهلها .. كيف لى أن أسألهن عن خبايا ترتسم على ملامحن .. كأنهن قد فوجئن بمجيئى .. أو كن لا يريدننى أن آتى ؟ كيف لى أن أقترب .. وقد أصبحت غريبا .. أمام رجل يجلس فى بيتى بكل الثقة والاطمئنان .. ؟ لا أعرف من هو ؟ .. « صفوت » شقيقتى متزوجة .. و « دلال » امرأتى .. فمن يكون هذا .. ؟ نسيين أن يعرفنى به .. وبعد أن جذبن يدى وأجلسننى اقتربت بشرتهن من بشرتى أحسست أن دماءنا اختلفت أو أن شراييننا مغتربة .

أشرن نحوه وقلن بلهجة خاطفة وجماعية :

الأستاذ ضياء .

ش .. شا .. شاعر ..

كا .. كا ... كاتب ...

الأستاذ يعمل !



لم أفهم ماذا أردن أن يقلن .. ؟ حاولت أن أستجمع حرفى الشين والكاف .. فوجدتهما لم يصلابى إلى شيء .. غير علامة استفهام .. حاول الأستاذ الجالس على مقعدى أن يكمل كلامهن فقال وكأنه يترفق بى :

أعمل .. خادم أو سيد أو عابر سبيل .

كلنا أسرة واحد لا يوجد خدام بدون سادة ولا سادة بدون خدام تماما كمملكة النحل .

أراد ان يفهمنى فزادنى غموضا .. ما عملى إلا أن أصافحة وأصغى بسمع الغائب والغائب عن أهل بيته مغترب بينهم .. لابد أن أصغى وأصغى ولا أتكلم إلا بعد أن يسمحون لى بالكلام .. فأنا العائد من رحلة استغرقت شهورا وهم الغارقون فى الضحك .. الأستاذ « ضياء » يجلس إلى جوار شقيقتى ساعده يقترب من ساعدها .. كتفيه وكتفيها بينهما مسافة أصبع واحد من أصابع اليد .. أصغيت وابتسمت .. كان لابد أن أبتسم لأنى صاحب البيت الذى ينفق عليهن .. المضيف الذى لابد وأن يكرم الضيف .. تركونى جالسًا .. لم يسألوننى عن أحوالى « دلال » زوجتى ذهبت إلى التليفون لتكمل مكالمة كانت قد قطعتها وتركت السماعة ملقاة إلى جوار الألة .. أنهتها

بكلمات قليلة تخللتها ضحكات كثيرة .. وجاءت تجلس إلى جوارى .. تماما كالذى وقف على سجادة الصلاة بدون وضوء .. تكلمن جميعا .. كل منهن لديها ما يحكى .. وتريد أن تفرغ منه بسرعة :

صفوت أرادت أن تسلم الأستاذ ضياء للمسئولين (وضحكن)

عم عبده الخضرى أسمى نفسه ميرون ابديكوو طلب الزواج من والدتك .. (وضحكن)

مصروف البيت ينفد قبل منتصف الشهر (وضحكن)

سيد صاحب محل السجائر أسمى نفسه دولاريت سوبر ماركت وطلب الزواج من « دلال » (وضحكن)

الدكتور شاهين الذى يسكن فى الطابق الأرضى نقل إلى مستشفى الأمراض العقلية ..

كان لابد أن أصغى لكل منهن على حدة .. لأننى رب البيت الذى لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر .. رب البيت الذى عاش بين جو الصحراء والروسومات الهندسية .. لا يعرف ماذا تغير فى حياة أهل بيته ... ؟ « الاستاذ » الذى يقاربنى فى العمر جالس فى بيتى بكل

الثقة .. لم يحاول أن يعتذر أو يذهب .. جالس معنا كأنه صاحب حق من كثرة كلامهم لم أفهم ما يقولن ولا ما يردن .. ؟

دلال زوجتى انساب شعرها الذهبى على كتفى وضحكت ضحكة ناعمة وقالت وهى تضحك :

– أما رأيت .. ؟ عم عبده الخضرى غير الجلباب والطاقية ووضع عودا من الريحان فى جيب الجاكتة ثم ظل يتودد إلى « غالية هانم » حتى طلب الزواج منها ..

ثم قالت « صفوت » وهى تضحك ..

– الدكتور شاهين .. أصابته حالة هيسترية بدأت بداية غريبة .. كان كلما جلس على مقعد أحس بآثار الأتربة بين يديه وإذا مشى فى الشارع وكان يرتدى بذلة بيضاء أحس أن لونها قد تغير وإذا أمسك بمقبض الباب أحس أنه ملىء بالميكروبات .. وبعد فترة كان كلما صافح أحد غسل يديه بالماء والصابون .. ثم حمل زجاجة من الكولونيا .. وكان إذا اشترى الخبز وضعه تحت الماء ثم فوق الموقد .. ثم تطورت حالته وبدأ يشعر أن الهواء ملوث بالميكروبات وجاء برجل كل ما يقوم به من عمل أن يغسل الأبواب والشبابيك

والأرض يوميا .. ثم تطورت حالته وأصبح يحاول غسل المقاعد والستائر يوميا .. وانتابته حالة اشمئزاز من كل شيء فإذا جاء إليه مريض أمر التومرجي أن يهمس فى أذنيه بأن يغتسل قبل أن يأتى وبعد فترة : أصابته هلوسة النظافة .. ولم يحتملها عقله فأصيب بحالة عصبية .

وقالت « غالية هانم » : لَمْ تَحكى لك « دلال » عما حدث اليوم لحظة ذهابها إلى الترزى ؟

كانت لم تلحظ أن كل شيء قد تغير ، وأن اللافتات القديمة قد استبدلت باللافتات أخرى .. « دلال » كانت تنتظر سيارة أجرة عند ناصية الشارع .. فوجئت بسيارة مرسيدس تنطلق من أمام قدميها .. جرت بسرعة ثم توقفت على بعد عدة أمتار ورجعت بظهرها .. وكانت ..

ضحكت « دلال » وقالت :

– كانت إشارة يد « سيد » صاحب محل السجائر تشير إلى .. ثم رجع بظهره ووقف أمامى .. عرض على أن يوصلنى ..

ضحكت « غالية هانم » وقالت :

– عرض عليها أن تتركك وتتزوجه .. ثم أعطاها رقم

تليفونه وذهب وتركها تفكر ..

أكملت « دلال » :

– لم أذهب إلى الترزى .. عدت .. وكنت أتوقف أمام المحال أشاهد فقط .. فسمعت أجراسا تأتى من بعيد .. ألا أونا ، ألا دونا ، ألا تريا ، فتح المزاد ..

كان الناس متجمعين أمام تمثال : لما انزاح عنه الستار رأيت « كوبيد إله الحب . الناس يتجمعون أمام قدميه .. كلهم يريدون أن يضعونه فى متاحفهم الخاصة .. بينهم « سيد » وعم « عبده » .. أرقام كانت تتناثر من الأفواه ..٣ الأف ..٥ آلاف .. أقدام تتزاحم ، أفواه تتسابق كلمات بلا صاحب تأتى من كل مكان .. أشعرتنى أنهم يريدون أن يشتروه ليتخلصوا منه .. قلت مثلما يقولون .. دخلت معهم المزاد ..٧ ألف ..١٠ آلاف .. وتركتهم يتنافسون ومشيت لأننى لم أكن أملك إلا تسعة جنيهات .. مشيت أضحك .. أضحك كثير جدا .. سمعت صوت « سيد درويش » إلى جوارى .. كان قد خرج من نافذة سيارة تسير ببطء وصاحبها رأسه تتمايل بانسجام والسيارة تتقدم حتى دوى صوت تخبط جسم السيارتين .. كان

صوت مطرب شعبى حديث يخرج من نافذة السيارة التى يقودها « مصطفى » بعد أن أسمى نفسه « اصطفان » هبط سيل من الزغاريد أمطر الشارع ودارت فرقة « أبو الغيط » بملابسهم الواسعة التى تنفرد فوق رؤوسهم وشعورهم الطويلة التى تنساب على الأكتاف .. وصاحبا السيارتين قد تشاجرا والتفت حولهما الناس .. ثم انفض هذا الشجار وتعانق الرجلان ..

وقال عم مصطفى وهو يشير بيده ..

افسح الطريق للسيد المدير ..

كان ابن « عم مصطفى » قد تزوج من ابنه مدير شركة ..

أهذا أسلوب ذكى منهن ؟ .. ماذا يردن .. ؟ هل تريد أمى أن تتزوج من عم عبده .. ؟ وإلا لماذا ذكرتنى أن المصروف ينفد قبل منتصف الشهر .. ؟ وماذا يدور فى رأس « دلال » .. ؟ ومن هذا الأستاذ .. « ضياء » .. ؟

كان لابد أن أحاول أن أستشف مكنونات زوجتى .. سألتها مع من كانت تتحدث .. ؟ فضحكت بصوت مسموع .. وقالت : « مع سيد »

صمتَ .. لأننى أنا العائد بعد رحلة عدة أشهر .. نساء بلا رجل .. ماذا يفعلن ؟ لابد أن أكون مجرد مشاهد .. أسمعهن فقط ..

« دلال » أكملت حديثها فقالت :

- عندما جئت إلى البيت فوجئت أنه قد أضيف له طابقان من لون ورسم هندسى مخالفين .. وبعض شرفاته أغلقت بالألومنيوم ..

لابد أنها تعنى أنه لا مانع من مشاركة (سيد) لى فى زوجتى وإن كان بضحكات عابرة فى التليفون ..

ماذا أفعل معهن .. ؟ هل أكون حكيما .. ؟

الحكماء فى هذا العصر ليسوا حكماء ..

هل أكون فارسا ... ؟ الجبن نصف الشجاعة ..

لو أظهرت لهن فروسية سوف أفتح بابا لطرح مشكلاتهن وقد أكون عاجزا عن أيجاد حلولى لها ..

لو صمتت سوف أفقد روجولتى أمامهن .. لو تجاهلت أيضا سوف أفقد رجولتى أمامهن .. ليس أمامى الآن إلا الاستسلام .. وادعاء اللامبالاة ..

الاستاذ ضياء « عيناه مليئتان بالكلام » .. أكاد أشعر أن

الأحرف تقترب من شفتيه وتتراجع .. ومسحة شجن أراها فى عينى « صفوت » كأنها تخفى سرا من أسرار حياتها وراء ضحكات لهو تريج لها الجدران .. لعلها ضحكات اليأس من حدث ما قد وقع كأنها تريد أن تخرج من حصاره بالضحك .. وتتكلم فى حضورنا جميعا أو تتخذ من « ضياء » شاهد إثبات على ما تقول ، أحسست من صوتها أن شيئا ليس هزليا سوف يقال .. قالت :

– كان الشهر قد انتصف ولم يبق على عيد ميلاد « جلال » إلا بضعة أيام .. وكانت هذه المناسبة أملا بالنسبة إلىَّ الاسترداده علقت عليه الكثير من الأمانى .. فقد كنت فى عالمه وهو فى عالم رجال الأعمال لقاءات واجتماعات ومواعيد كأنهم تجمعوا ليبعدوه عنى .. وكنت أقضى معظم الوقت أفكر فى وسيلة تعيد إلى مشاعره وعواطفه واهتمامه .. كأن كنزا ينساب من بين يدى وكأن هؤلاء الرجال يسرقون منى عمرى وشبابى أو يستولون على حقوقى يهدرون مشاعرى فى بحر لقاءاتهم .. كنت أقضى معظم الوقت فى انتظار ومن عرف منكم قسوة الانتظار والترقب سوف يفهم ما شعرت به ..

صوت الباب عندما يفتح هو الشيء الوحيد الذى يحيى نبضاتى يوقظها فأسترد أنفاسى وأسرق لحظات الاطمئنان من نظرات عينيه أو من لمسة يديه أو من وجوده بجوارى ولكنه غالبا مرهق « شارد » مشاعره مشتته ليس لديه المقدرة على العطاء .

فى ذات يوم فكرت أن أفاجئه بتهنئة أرسلها إليه فى جريدة أسبوعية لعله يتيقظ عندما يقرأ كلمتين فيهما كل شىء ..

وضعتها فى حقيبتى وعقدت العزم على إرسالها فى اليوم التالى .. وعند الاستعلامات تلاقى وجهى مع وجه كاتب قديم ليس مشهورا .. ابتسمت له .. رد الابتسامة .. ثم تكلم معى كثيرا .. سألنى عنى وعنى حياتى .. لا أعرف كيف تكلمت بلا رابط وكأنى أفرجت عن مشاعرى المخنوقة وقلت له كل ما أردت أن أقوله « لجلال » ولم يجد وقتا ليسمعه .. وبعد أن أنهيت حديثى معه خرجت من الجريدة ونسيت أن أرسل التهنئة ثم لا أعرف كيف ساقتنى قاماى إلى مكتبة فى اليوم التالى .. ؟ ربما كنت فى حاجة لمن يصغى إلى أو يعيش معى مشاعرى الخاصة ويدخل

بأفكاره فى حياتى ويدلنى كيف أسترد « جلال » أو كيف أملأ حياته .. ؟

استقبلنى استقبالا رقيقا ولكنه لم يتحدث معى .. فقد أعطانى مجموعة من الكتب فى علم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد .. تصورت أن هذا هو الأسلوب الذى قد استعيد « جلال » من خلاله .. وقرأتهم كلهم فى خلال أيام قلائل .. وذهبت إليه لأعيد الكتب وتصورت أنه قد يناقشنى أو يسألنى حتى عما فهمته .. ولكنه ما حدث كان شيئا آخر .. أخذهم وأعطانى كتبا أخرى .. لكتاب ليسوا مشهورين أحسست أن لغتهم غريبة وألفاظهم معقدة فى بداية الأمر لم أفهم .. وأحسست أن دوارا يصيبنى كلما قرأت عدة سطور أو أن جمودا يسرى فى مشاعرى .. ورغم ذلك صممت أن أكملها .. بين كل عدة سطور كنت أشعر أنهم يعيشون عالما ليس مألوفا كأن الخيال قد صار واقعا والواقع قد تجرد إلى خيال .. والحب معنى تافه لاقيمة له .. والرجل له دور ثانوى فى حياة المرأة .. ثم لا أعرف كيف اصبحت أتكلم بمثل ما يتكلمون دون أن أفهم كنت أردد ألفاظهم مع « جلال » وكنت أشعر أنه يزداد ابتعادا أمام

كل كلمة .. ثم قال لى ذات يوم : « إننى أهزى ولابد أن أريح أعصابى لعدة أيام ؟ وأمام إحساس بتباعده عنى .. منحت نفسى إجازة وجئت إلى هنا .. كطائر أصابته طلقة طائشة .. لم يمت ولم يعد يقوى على التحليق .

لا أعرف ما الذى أسمعه من « صفوت » وما كدت أستوعب ما تقوله حتى ضحك الأستاذ « ضياء » ضحكة اختلط فيها الهزل بالجد .. وقال :

– المسألة تتلخص فى حسن النية .. « الكاتب القديم » أراد أن يوصل العلم بالعلم .. « وصفوت » أرادت أن توصل الحب بالحب .. عندما كتبت التهنئة كانت تعبر عن مشاعر عميقة بأسلوب بسيط .. مشاعر المرأة التى تشعر أن الرجل أعظم شىء فى حياتها أعظم من أن يتحدد وجوده فى كلمة رقيقة أو معاملة حسنة .. كأن له قداسة مستورة أو عبودية غير ظاهرة .. لم يفهمها « الكاتب القديم » لسبب بسيط جدا أنه ليس بالضرورة يعرف معنى الحب .

فى ذاك اليوم عندما تأخر عن موعده ثم اعتذر .. كنت أنتظره وكانت « صفوت » تنتظره أيضا .. أمضينا بعض الوقت نتكلم .. وجدت أنها تحدثنى عن أشياء غريبة وتختار

ألفاظاً حادة وعبارات جامدة ، وتؤكد لى أن الحياة خلقت طبيعية .. وتلغى كلمة القدر وتنكر وجود الشيطان والقرين وحتى الجان .

ولما تحدثت معها عن الروح .. ثارت وغضبت وأكدت لى أن الحياة تنتهى بنهاية الجسد .. ولما تكلمت عن الإرادة الإلهية وقلت أنها تسيّر الكون انزعجت واتهمتنى بالانتماء إلى نظرية خيالية فقالت « إنى أريد أن أقلب معايير الكون » وخافت منى .. وتركتنى وذهبت .. أحسست أنها كانت تهزى .. ولأن طبيعة عملى تفرض على استطلاع مثل هذه الأمور فقد بحثت عن عنوان البيت حتى وجدته .. وجئت كما ترانى الآن عندما رأتنى فى أول مرة استقبلتنى بفتور .. كانت أشبه بتمثال متحجر .. مشاعرها متبلدة كدمية فى جسد بشرى ، عيناها خاليان من أى مشاعر أو أحاسيس .. فرضت نفسى عليهم فرضا .. وجلست بينهم أتكلم فقط أتكلم مع « صفوت » كانت مجموعة متخالطة فى الثقافات .. شخصيتها الحقيقية تائهة بينهم كأنها سقطت فى مزاد أفكار ونظريات ، الفارق بين كل نظرية وأخرى خيط رفيع لا يستطيع أن يفصله إلا من كان ذو خبرة .. كانت

قد تعلمت كل شيء ونسيت حقيقتها .. وتاهت عما كانت تبحث عنه منذ البداية .. امتلأت بالأفكار ونسيت النبع الحقيقى لفلسفات الدنيا كلها .. « الحب » نسيت أعظم الكتب الموجودة على وجه الأرض ولم تعد تتذكر حرفا واحد فى القرآن .. اختلط عليها الأمر .. وكنت إذا ذكرت آية فى القرآن .. انتفضت وصرخت وقالت : من أين تأتى بهذ الكلام الغريب ؟ ولا تطمئن إلا عندما أقسم لها أن هذا هو قول الخالق الأعظم .. وكثيرا ما تشككت من أمرى .. وحاولت ان تسلمنى للمسئولين لأنها قد تصورت أنى أعتنق مبادىء جديدة ..

ليس لدى ما يقال أمام كل هذه الأحداث .. الأستاذ « ضياء » يتكلم بمنتهى الأمانة ولا أعرف ما الذى راعه من أمر « صفوت » هل حقا كانت جانبا من عمله .. أم أن فى الأمر شيئا آخر .. ؟

ابتسم أمام حالة الصمت التى انتابتنى وقال :

– اطمئن قد أردت أن أعيد إليها ما ضاع منها « الحب » ياسيدى فقد لمحت فى عينيها لمحات صفاء مدفون أو حنينى سجين كان هدفى أن أفتح له الباب وأطلقه ..

هل كان حلما ما أرى .. ؟ انحدرت الدموع على وجنتى « الاستاد ضياء » وقال :

الحب هو الشيء الذى لا يملك عالم أو فيلسوف أن ينزعه فى القلوب ، لو تخطينا كل المستحيلات فهذا هو الشيء الذى لم نكشف أسراره حتى نتخطاه .. وذهبت نظرات عينيه فى عينيها .. وقال بصوت به مسحة حزن :

– كانت طفلة فى لحظات وامرأة فى لحظات أخرى .. طائر طليق وقطة متمردة .. كانت شجونا وسعادة غدر وأمان باختصار .. « صفوت » مجموعة مشاعر وأحاسيس أعجز عن وصفها .. « الحب » .. الحب معنى .. أقوى من إرادتنا .

تكسرت الكلمات على شفتيه .. وأريت فى عينيه ما يراه الرجل فى عينى الرجل .. عاطفة مخنوقة شعور يأبى الرجل أن يعترف به .. ماذا لى أن أفعل أمام مشكلة فوق طاقة العقل البشرى .. لا يملك عالم أو فيلسوف أن يضع حدا لمشاعر البشر .. ماذا إلى غير الاستسلام .. أمام رجل جاء لينقذ شقيقتى فأحبها ؟ ولعلها كانت جزءا من عمله ..

لا أعرف كيف ضحكت مثلما يضحكون .. وجدت

أننى أضحك .. أضحك كثيرا جدا الآن أمام مجموعة مشاكل لا حل لها .. تركت لهم البيت .. وخرجت .. مشيت بين اللافتات المنزوعة وآثار زهور الفرح .. وأجراس المزاد الصامتة .. فقد انفضت الجموع .. وسقطت الآلاف على الأرض أو تناثرت فى الهواء .. وبقى كيوبيد إله الحب فى مكانه .. لم يباع .. كل نظرة إلى الشارع كانت تذكره لى بكلام « دلال » زوجتى .. واسم « سيد » يرن فى أذنى مصحوبا بضحكاتها .. لا أعرف كيف ساقتنى قدماى إلى منزل .. « قدرية » صديقتى منذ أيام الجامعة .. وجدتنى أطرق الباب .. وأضحك .. لأنى أصبحت مثلهم ..

المهرجان

الأصوات عالية متداخلة .. نداءات ودموع وإشارات .. يا « سيد » ، يا « حسين » ، يا « حنان » .. يا .. يا ..

إشارات مناديل ، وأنصاف أجساد متدلية من الشرفة .. كلهم غرباء .. ، لم يجد أحدا منهم فى انتظاره .. العربة الحديدية تجرى أمامه .. يدفعها الرجل بيديه فتسبقه إلى صالة الوصول .. أياد غريبة تتناولها .. سمراء البشرة وقمحية وبيضاء وخمرية .. وأياد أخرى تضعها فوق السير ، الميكرفون عاليا يعلن عن مغادرة طائرات ووصول طائرات مغادرين وعائدين ، والحقائب تقذف من أياد إلى أياد أخرى أكثر من يد تفتحها .. ومحتوياتها تكشف على الملا .. وتفقد عذريتها وصورة « ندى » تطل منه بين المحتويات كمرآة تعكس زمنا خلقيا .. الحقائب تتعرى بأكثر من يد على الملأ ولا يملك الدفاع عنها ، أغلفة الملابس تتفتح الأكياس النايلون تتمزق وتنزع بكارتها أمام كل العيون كالجسد

العارى وعلامات الاستفهام تأتى من كل ممر ومدخل ألم يصل إليهم التلغراف ؟ أما تزال « ندى » فى انتظارى ؟ أم أن مرور أربعة أعوام كان كفيل بأن .. !!! هل تنسى الزوجة زوجها ؟ لا مستحيل « ندى » ذهبت معى إلى الحج فى العام الماضى .. كانت تنوى التوبة أعلنت ذلك فى البيت الحرام سمعتها بصوت مسموع .. أجل بصوت مسموع يخفى ما تكنه فى سريرتها تماما . فهل كان يتلاءم مع إعلانها التوبة ؟ هل حقا استطعت أن أسترد احترامى عندها ؟

أياد أخرى أغلقت الحقيبة بإهمال فتدلت أطراف الملابس من الحواف .. دنستها كل الأيادى وشاهدتها كل العيون .. ماذا بقى لى .

ترى لِمَ لم تنتظرنى « ندى » فى المطار ؟ ألا يكون أحد الأولاد قد ذهب فى نزهة و... و ... ؟ ربما كلهم ، أعوذ بالله من الشيطان خرجت الحقائب على العربة إلى الرصيف الخارجى وحملها الحمال على سقف السيارة الأجرة ثم تحركت وذهبت إلى قلب المدينة وكأنما اراد أن يهبط ويدفع السيارة بيده أو يسير على قدميه لعله يصل قبل السيارة ..



أو يجد ما يطمئنه ويصمت تلك الوساوس التى تطارده .. هل كنت مخطئا عندما تركتهم وسافرت إلى دول الخليج ؟ وهل كان ذلك من أجلهم ؟ أم من أجلى ؟ ابتلع ويقة عندما وصلت السيارة إلى البيت .. ترك السائق والسيارة والحقائب وأسلمهم إلى بواب العمارة .. نادى عليه ثم صعد عددا من الدرجات .. كان باب شقته مغلقاً على ظمله فتش فى جيوبه لم يجد المفتاح .. فهبط الدرج مرة أخرى وقال :

- « عم سيد .. أين الست والأولاد ؟ »

توترت ملامح الرجل وتلعثم ثم قال :

- « الست ندى » دائما تترك البيت ، والأولاد - أحيانا - يترددون للاطمئنان على الشقة .

قال : إذن أين يقيمون الآن ؟

قال : ربما فى الأسكندرية أو فى اليونان أو مرسى مطروح أو أسبانيا نحن فى الصيف

يا سعادة البيك .. يمكن أن يكونوا فى لندن ..

أحس بتلعثم البواب وتردده فى الجواب .. وقفزت إلى ذهنه صورة صديقه « حلمى » الذى يجمع أصدقاء البيت عنده كل يوم تقريبا .. وفى خلال دقائق ركب سيارة أجرة وترك الحقائب فى فناء العمارة .

ترى يعرف « حلمى » أين ذهبت « ندى » ؟ مؤكد أنه يعرف كان « حلمى » من أقرب أصدقائها ولعله كان مغرمًا بها .. إذا لم يعرف فمن المؤكد أن أحدا من أصدقائنا قد يعرف أين هى ؟

« ندى » كما عهدى بها لم تطلع أحدا من عائلتها على خباياها .. بينما أصدقائنا يعرفون كل خطواتها ..

أوقف السيارة الأجرة أمام بيت « حلمى » .. حيث كانت أضواء النجفة الكبيرة تضىء الشارع أسفلها .. وصوت المغنى ينبعث من الشرفة يطمئن بوجوده .. بعد أول دقة جرس .. انفتح الباب فانبعثت رائحة دخان وصوت جيتار وأشعار ورائحة خمر وضحكات نسائية .. أخذه « حلمى » بين ذراعية واحتضنه وقبله .. ثم أحاطه بذراعه وأدخله إلى الشقة وقال :

– الحمد لله على السلامة .. لعلك بخير .. تعالَ .. لك نصيب أن تحضر معنا المهرجان .. تعالَ .. سوف نعترف بكل شىء فورا أجلسه فى ركن من الصالون وقال : أترى ماذا أفعل اليوم ؟

تحولت نظرات « غريب » لتبحث عن « ندى » فى كل

ركن بين الضيوف واستطرد « حلمى » : منذ عدة أيام كنا نتجمع فى سهرة كهذه فوجئنا بأننا جميعا قد أصابنا اكتئاب جماعى .. كل واحد منا تثقل كاهله مشكلة لا يستطيع أن يجد لها حلا أو يفر منها .. عرضت عليهم سؤالا وانتظرت أن أسمع جواب كل منهم .. ما الذى يجعلنا نكتئب ونغتم هكذا ؟ كان هناك أجماع أن حب الحياة هو الذى يحكم خطواتنا .. ويدفعنا لأى فعل بل ويرغمنا على التحمل .. طبعا أنت تعرف أن الموضة فى جميع أنحاء العالم أن يتجمع الناس عرايا من ملابسهم كى يعودوا إلى الطبيعة .. اتفقنا جميعا أن نلتقى ونتعرى أمام بعضنا ولكن .. دون أن نخلع ملابسنا فقط كل منا يحكى قصته مع الحياة .. ماذا أراد منها وماذا أعطته ؟ وقد جئت فى الوقت المناسب ..

تعالَ معى .. نجلس إلى جوار الشرفة فى الهواء ..

وكان « ع و » يغنى على جيتار و « ج ب » كان صامتا و « س ج » غارقا فى دخان لفائفة وكأس من الخمر .. وكان يتكلم بصوت عال .. فى أى شىء مجموعة جمل مركبة تركيبا غريبا يشعر من يسمعها أنها مصطلح هندسى دخل إلى نظرية فلسفية أدت إلى طبقات الأرض إلى الشهب والزلازل .. ثم إلى الثواب والعقاب ..

وكان « أ ع » سابحا فى نسمة هواء دخلت إلى بدلته وأطاحت بربطة العنق وأهاجت شعره .. بعد دقائق ارتفعت الأصوات إلى حد التشاجر .. ثم هدأت تلقائيا ودون تدخل أحد .. ولعلهم قد نسوا لم تشاجروا منذ البداية ؟ أو اهتدوا إلى أنهم يتشاجرون من أجل لا شىء .

فاتفقوا تلقائيا من يحكى حكايته مع الحياة أولا .. وبدءوا بـ « ج ب » أشعل لفافة وأخذ نفسا عميقا ثم قال :

« لم لو أتنفس هذا المذاق منذ البداية ما عرفت طعمة مدى العمر ولا بحثت عنه أو افتقدته .. ولكن هى لحظة البداية بعدها تسير الأمور فى نفس الطريق لأطول فترة ممكنة .. وربما إلى نهاية الكرة الخيطية والتى قد تكون زمنية .. وغالبا ما تكون مقدرة دون تدخل الإرادة البشرية .. طريق رسوم ونحن نسير بكامل وعينا وإرادتنا .. المسألة مسألة عشق ليس لامرأة كما هو معتاد ولكن لشىء آخر ثمين ونفيس وله بريق .. ويجلب الحذر إلى النفوس .. من منا لم تُغْرِهِ قطعة من الماس ؟ أكان عيبا أن يستهوينى اقتناء الماس ؟ ما الضرر من الاتجار فيه .. أليس أفضل من الاتجار فى أشياء أخرى .. ؟ ثم إن الماس من مقتنيات القصور ..

وكل منا قد تستهويه مشاهدة قصر ، أو يتمنى أن يعيش فيه .. هذا النوع من العشق كان رغم إرادتى .. ثم إن شيئا لم ينقص أو يتغير رغم أن كل الناس اجمعوا على أن ملامح وجهى قد تغيرت قليلا وارتسم عليها الحذر .. ولكن لا أعرف كيف نما بداخلى هذا الشعور رغم أنى لم أحسه ثم ضحك .. بسخرية كانت تطوى فى داخلها أنات مكتومة ، وقال :

الآن نسيت مم كنت حذرا فى البداية .. ؟

اقترب « غريب » من « حلمى » وقال بصوت خافت :

عدت اليوم فقط من « الخليج » وجدت الشقة مظلمة ومغلقة .. ولم أجد المفتاح فى جيبى ولم أجد « ندى » ولا الأولاد .. ترى أين ذهبوا ؟

أخفض « حلمى » رأسه قليلا وقال :

أكنت تنتظر أن تجد « ندى » فى انتظارك بعد كل ما حدث ؟

كم كان عمرها عندما تزوجتها ؟ لم تكون قد أكملت العشرين من العمر .. هل نسيت يا « غريب » أن « ندى » كانت فى بيت له عاداته وتقاليده ؟ وأن والديها قد علماها

أن أسرار البيت لا تُباح وجئت أنت ترغمها على ما لاتستطيع أن تبوح به ولا تجرؤ على رفضه ..

ما علينا .. أشعل لفافة .. وفتح علبة اللفائف وقدمها له ..

كان « حـ . ع » قد بدأ يتكلم .. ضحك بمرارة وبصوت عالٍ ثم قال : لم أعشق شيئا فى الدنيا بقدر ما عشقت نسمة الهواء .. الذى نتنفسه ونحيا به حتى تمنيت لو أنقيها من مخلفات المصانع وعوادم السيارات .. ولأن ذلك مستحيلا على فقد أسلمت نفس للريح تفعل بى ما تشاء استطعت أن أستمد منها الشعور بالحرية أليس الهواء حرا ؟ يعصف بنا أو يسكن ويخنقنا أو يرسل إلينا ماءا من السماء .. أو يرفرف حول فراشى فى غفوتى ويداعب ستائر نافذتى ، ويداعب ملابسى ، ويدخل إلى صدرى فى أنفاسى ، ويقتحم سرائرى .. أليس قيمة كبير بحث العلماء عن مكوناتها .. واحتاروا فى أمرها ؟ إليس جديرا بأن يكون ملهم أشعارى ؟ ولعله مرسال الحياة الذى سكب خمرها فى فمى ماءا وزهرا وهواءا وبجوار وأيقظ عشقا مؤودا فى أعماق ونثر أنفاس الزمن حولى .. عواصف ورمال وصقيع وزمهرير رأيته امرأة أجمل ما تكون فى النقاء امرأة لا يجرؤ بشر أن يدنسها .. أمن الغريب أن أرى الحياة حواء

الجنة وأتمنى أن أسترخى على شعرة من شعرها ، شعرة من رحيق الإحساس بالحياة كم تساوى من العمر ؟ كم تكلف المرء ؟ سعيت وراءها فأدارت لى ظهرا فاتنا .. وأسمعتنى لغة ليست بشرية ، تساقطت المياه على أوراق الشجر الجافة .. ورمال تسقط من أعالى الجبال .. وأمواج تهدر على الشواطىء بسخاء جلتنى عاريا من أسرارى وشجونى ، أمشى فوق حروفى غائبا عن دنياى أبحث عن حواء الحياة أو الحياة المرأة فأسدلت وشاحا فوق صدرى .. وكأنها تقول حواء الحياة ليست من حقك ولا ملكا لك .. كنت أحمل وشاحى ولا أدرى حتى صفق لى الناس وقالوا أننى مسحور وأسحر العقول بأشعارى .. ولكنى ما زلت أبحث عن حواء الحياة .. وأجرى وراءها .. حتى جاءت وجاوبتنى وقالت علمتك حرفا من حروف لغاتى لا تبحث عنى . فأنا حروفك وسطورك وتصفيق الأيادى انتهز « غريب » لحظات الصمت ما بين « ح . ع » و «س . ج » ومال نحو « حلمى » وقال :

ترى ظلمت « ندى » إلى حد جعلها تنتقم منى ؟

كان « حلمى » يملأ الكاسين اللذين قد فرغا منذ قليل

وتنهد تنهيدة طويلة وقال : أتذكر يا « غريب » ؟ فى أول مرة طلبت من « ندى » أن تجلس على مائدة العب بين أصدقائك وتصورت أنها سوف تجلب لك الحظ كانت « ندى » تواجه هذا النوع من المواقف لأول مرة .. زهرة تتقاطفها الأيادى تعرضت لنظرات وابتسامات وتلميحات لم تمر بها فى بيت أبويها ، كان كل واحد منهم يراها عشيقة الليل المقبل .. إلى حد أنى كنت أشعر أنها تختبىء عن عيونهم داخل نفسها وتنكمش وتضع ستائر على حقيقتها لتخفيها وتنظر إلى عيناى تستمد منها الشعور بها أو الاستنجاد مما هى فيه أتعرف يا « غريب » يوم من الأيام شعرت أن « ندى » تكرة صورة نفسها وكأنها تنظر إلى المرآة بقرف أو اشمئزاز أو تلعن امرأة أخرى هى فى الواقع لا تعرفها أنت أرغمتها أن تكون هذه المرأة .. جعلتها تستشعر أن الصورة التى صنعتها أنت مرغوبة منك ومطلوبة من الجميع أنت دفعتها دفعا إلى مجالسة أصدقائك وسمرائك فى اللعب تركتها تتلقى إشارتهم الضبابية .. إلى حد أصابها « بالشيذ وفرانيا » أو ازدواج الشخصية .. [حكت لى يوما أنها أمضت الليل تتفاوض مع نفسها وتقنع طبيعتها بأن ما تريده أنت لا يفقدها شيئا .. وقالت أنها وعدت نفسها

باخياة والمال كى ترضى عن هذا الوضع ثم اقنعتها اغتصابا] حينئذ ضغط « غريب » على رأسه بكفيه .. وقال .

ماذا لو جاء ضيف وسكن فى بيت وصمم أن البيت بيته ؟ سوف يفقد الكثير من حساسية مشاعرة ويتحول الى انسان ثقيل يسعى وراء ما لا حق له فيه] فى بادىء الأمر وعندما كنت قد تقلبت على كل الوجود وتخبطت فى كل أرض وتعايشت مع كل الناس ..

عرفت أن الحياة تتجاوب مع المتلونين والمتقلبين وأصحاب الأهواء والمغامرين وربما المشاكسين .. أيخفى عليك يا « حملى » أننى قررت فى يوم من الأيام أن أكون واحدا ضمن هؤلاء .. ؟ ورغم ذلك لم أسع إلى تحقيق شىء من هذا .. إنك أنت تعرف أن كل شىء كان جاهزا وسهلا ، ورقة لعب .. قد تجلب الحظ مدى الحياة .. أكنت تريدنى أبلهاً ومخبولا ؟ أدع الفرصة تمردون أن أقتنصها ؟ سوف تقل أننى مجنونا .. لا يهم من هم المجانين ؟ أليس الخارجون عن حدود المعقول ؟ وبماذا أفادك المعقول ؟ أما رأيت أن المجانين غالبا ما يكونون شديدى الحساسية أو أصحاب رؤس مفكرة ؟ ألا يكفى هذا كى يهتز التوافق

بين النفس وواقعها ؟ سوف تقول لى أننى كنت مقامرا ألقيت بنفسى و لم أحاول أن أسال ماذا أسقانى الزمن .. ؟ سوف تعرف أن كل شيء تساوى عندى كونى استقيت نارا أو شهدا أو علقما أو صبراً .. ولكن أكنت أتى إلى الحياة وأذهب و لم أتعرف عليها ؟

اعتدل « حلمى » فى جلسته وقال ؟

من خلال رؤيتك للحياة قد أمنحك الحق .. ولكن .. « ندى » .. « ندى » .. « يا غريب » أنت وضعتها فى مأزق ثم جئت تندم .. أتذكر ؟ أحيانا عندما ما كانت تقول لى أنها تشعر بالاختناق ، تشعر أنها تخلع كرامتها كلما خلعت ثوبها أمام ... وأحسست ان حرارتها فترت وكأن ملامحها قد تغيرت وأكتست لونا آخر تحولت إلى امرأة أخرى .. كانت تبتسم كثيرا وتتدلل على كل من يصادفها أنت جعلتها تشعر أنها مباحة لكل الناس بلا قيد ولا حرمة .. قالت لى .. إن الوان المرارة قد تكدست حتى صارت المذاق الوحيد ثم قالت لى بعد فترة أنه صار مذاقا مستساغا يوما بعد يوم .. ثم صار شهدا يدفعها أن تتصرف كما أردت أنت ولكن بإرادتها هى ..

انفعل « غريب » واحتقن وجهه وقال :

تقصد اننى عمدت أن أسيىء إلى « ندى » أو أتهاون فى حرمتها ؟ لم أكن أتمنى إلا أن تجلس إلى جوارى وتجلب لى الحظ .. ماذنبى إذا كان الحظ مراوغ وزئبقى .. خاننى .. و .. أنت تعرف يا « حلمى » ..

أجابة « حلمى » بعد برهة فقال :

أعرف .. وأتذكر اليوم الذى خسرت فيه كل رصيدك على مائدة اللعب (قال غريب) تذكر أننى ... ؟

أذكر « يا غريب » أنك كتبت شيكا بلون رصيد وأنك كنت معرضا للسجن فى أى لحظة .. لم أكن أقصد أن أسيء إلى « ندى » ..

ولكنك أرسلتها لتسترد منه الشيك وكنت متصور إن ذلك لن يكلفها إلا مداعبة أو ابتسامة أو ثوب جديد ..

– وهل كنت مسئولا عن كثرة مطامع الناس ؟

وهل كانت « ندى » مسئولة عن أخطائك يا « غريب » ؟

أنت تعرف أن هذا اليوم كان البداية وتعرف أنه طلب منها الكثير كى يعطيها الشيك ..

أجابة « غريب » بيأس أو أسف وقال :

إذا كنت قد فقدت كل ممتلكاتى .. إيهما أغلى « ندى » أم أموالى .. ؟ ثم أنى لم أكن أتصور أن يكثر عدد الشركاء فى جسد زوجتى .. إلى حد أننى أوافق فى صمت .. انفجر « حلمى » بعصبية وقال :

نعم توافق فى صمت .. وما أكثر كراهية المرأة للسلبية فى الرجل ؟ أتعرف أن الاستبداد أقرب إلى طبيعة المرأة .. ؟ واجه نفسك بالحقيقة يا « غريب » أنت افتقدت إلى احترامها إلى حد أنها تجاهلت وجودك وسقطت من نظرها .. وأصبحت تتساءل ما بين نفسها .. من أجل من هذه التضحية ؟ من أجل رجل لا يخاف على كرامتى ؟ .. قالت لى .. يوم من الأيام تحولت إلى آلة تتحرك بالأزرار .. زر للحركة وآخر لا رتداء الملابس وغيره للجلوس على مائدة اللعب والمداعبة والمجاملة .. كانت كل ما تفعله أن تواسى الخاسر وتغرى الكاسب . أتذكر يوم ذهبت تقدم أوراق وليد فى المدرسة الثانوية ؟

جاءت إلى وقالت :

إن عقلها يلح عليها بالاستقلال عنك وعندما حاولت إقناعها بأن تتراجع غضبت منى واتهمتنى بالنفاق وقالت :



تريدنى مستعبدة لرجل فقد شرفه على مائدة الرهان ؟ جعل من زوجته ورقة لعب ؟ لم لا أسقط بين يدا من أردت ؟ أجبنى يا « حلمى » هكذا قالت ومشت وهى ثائرة على وعليك ..

نظر إليه « غريب » باستياء وقال :

هل وافقت على تصرفاتها .. ؟ وافقت أن تجعل المقامرين المستولين على أموالى أوصياء على فى بيتى وفى زوجتى .

ثق أنها لم تكن تعرف أنك سوف تغير رأيك فى اصدقائك وتكره من كنت تحبهم .. انكفا « غريب » على ساعده وقال :

أسف يا « حلمى » ولكنك تعرف أنها استردت منهم أموالى بعدها تحولت إلى جواد جامح يطبح بأى شىء أمامه « ندى » تلونت وتغيرت وأصبحت لديها من الوداعة والفجور والاقتدار بل وكل المتناقضات ما يخلب العقول .. أصبحت تدير البيت .. تدعو من تشاء من الأصدقاء وتطلب منى أن أحسن استقبالهم أصبحت تعقد الصفقات ، وتقود السيارة وتفعل كل شىء وتقوم بأى مهام من خلال التليفون كأى رجل أعمال شهير .. وتحولت إلى زوج شرف أو مستقبل لضيوفها .

قال : وما الذى يغضبك ؟ أنك افتقدت « ندى » أم لانك تحولت إلى زوج شرف كما تقول ؟

تاه ببصره وكأنه يبحث عنها فى الصالون مرة أخرى .. وقال : لا أعرف السبب الجوهرى .. وانتابتهما لحظة صمت .. كان « س . ج » يحكى حكايته مع الحياة .. وقال : « أحيانا أشعر أن كل شىء فى الحياة هلامى .. حتى جسدى .. حتى الأفكار التى تدور برأسى ، كل شىء بدا غير مخطط ولا واضح فى الوقت الذى كنت أتجهز فيه للوصول إلى أقصى درجات العلم .. انتابتى حالة غريبة ربما يأس أو زهد لا أعرف بالتحديد كل شىء متساوى وبقى سؤال يجرى ورائى ، يطاردنى كطائر ضل عن أسرابه ثم قلب حياتى رأسا على عقب .. ماذا سوف أضيف للبشر ؟ وماذا يضيف لى البشر ؟ وماذا أجنى فى النهاية ؟

أليس مشيباً ورحيل صفر اليدين ؟

كان « غريب » كأنه يتأجج على موقد نار .. أشعل لفافه ووضعها فى المطفأة وأشعل الأخرى ونسيها وأشعل الثالثة .. ثم التفت إلى « حلمى » وقال :

« سالى » الآن مع « ندى » يا « حلمى » ؟

رشف رشف من الكأس وقال : سافرت إلى لندن .

احتقن وجهه وتوترت أوصالة وقال :

فتاة فى الثامنة عشرة تذهب إلى لندن بمفردها ؟ وكيف تركتها ؟

قال :

ليس بمفردها يا « غريب » سافر معها زميل لها فى الجامعة .

- وما علاقتها به ؟

زميل ..

كان « د . و » « ف . ل » زوجته .. جالسين فى ركن مجاور « لغريب وحلمى » كأنهما عاشقين يتهامسان ويتمايلان على أنغام الجيتار .

وكانت نظرات « غريب » .. ولعلها تركزت عليهما دون قصد .. ثم قال : منذ متى لم « ترندى » ؟

قال :

كانت تمر بأزمة نفسية قالت لى .. إنك تركتها نفسا مهدمة وجسدا يتحرك آليا مجرد شفاه تعبث بالابتسامات وقدمين رشيقتى الخطى .. كأجمل تمثالا لا يستطيع الهبوط

عن قاعدته ولم يختار الثبات من حركته .. كانت كأنها تصرخ وهى تقول أن كل الناس تعاملها على أنها جسد رائع بلا عقل ولا مشاعر ولا إحساس .. قالت لى : إنها صارت أشبه بتمثال كل يد تستطيع أن تتحسه ولا يملك أن يرفض .. إلى حد أنها ندمت على يوم الزواج وقالت ، لو أنى أعرف أن كلمة ' قبلته زوجا ، كانت تعنى أن أتقمص شخصية امرأة أخرى ما نطقتها أبدا ..

كانت أشبه .. بعروس لمجتمع راق تأمر فتلبى أو امرها .. بعد هذه الأزمة النفسية التى كادت أن تحطمها .. قررت أن تغير كل شىء فى حياتها .. جددت مفروشات البيت وديكوراته .. ورمت الماضى فى عربة منقولات .

زد ، غريب ، وراءه بتأسى .. غيرت المنقولات ؟

قال :

أنت أفسدتها .. هل تتصور أنها كانت تريد أن تدفع ثمن المفروشات والديكور .. قبلات ولحظات .. و .. ؟ كانت أول صفعه جادة تتلقاها من المهندس ، شريف ، إنهار ، غريب ، وضغط على كتفى ، حلمى ، بيديه وقال :

ماذا تقول ؟ « شريف » من ؟
بماذا تريد أن تبلغنى ؟
أجلسه إلى جواره وحاول أن يهدأ من ثورته .. ثم قال :
سوف أحكى لك كل شىء ..

« المرأة بطبيعتها تميل إلى الرجل الجاد وتثق فيه لما أرادت أن تعامل « شريف » صاحب محل الديكور .. بنفس الطريقة التى تعامل بها الآخرين .. أدرك ما فى داخل نفسها على الفور .. وكانت المفاجأة عندما أخرج دفترا مخططا بالطول وبالعرض وملىء بالأرقام وقال : سوف يكلفك عشرة آلاف .. حاولت أن تتهرب من دفع المبلغ بالكامل فأمضاها على شيك بالمبلغ الباقى .. دارت تسأل أصدقاءها ومعارفها بجنون لم تصرف هكذا ؟ كنت أحس أنها ترفض هذا الموقف لأنه لم يراها جسدا رائعا كأى رجل .. ولم يتنازل عن حقوقه من أجلها .. ولعله لم يشعر أنها عروس المجتمع المدلله .. وقعت على الشيك وعادت إليه بعد عدة ساعات ثائرة ومتوترة .

سألته لم جعلها تكتب شيكا بالمبلغ كأنها لا تفهم كيف لا تكون أنوثتها وجمالها ضمانا .. قال لها .. (لقد هدمت

كل شىء) .

بعد هذه الكلمة .. تغيرت « ندى » تغيرا غريبا .. كأن سهما حادا قد نفذ إلى قلبها مشت وعادت إليه تسأله ماذا يعنى ؟

ثم مشت مرة أخرى وعادت تسأله .. ما الذى هدمته ؟ ثم اتصلت به تليفونيا تسأله .. ما معنى هذه الكلمة ؟

واتصلت به عدة مرات فى يوم واحد ..

قال .. سوف نبدا العمل غدا ..

كان « حلمى » يتكلم « غريب » شاردا ينظر إلى السيدة وزوجها الذين كانا غارقين فى لحظة عشق منذ لحظات وقد جلس معهما شاب .. عينيه تائهين وكأنهما قد رحلا إلى الغيب والكلمات تخرج منه بحرارة فلا يفهم إذا كان يتكلم عن أمراة أم عن الحياة قال : كتبت هواها على كل بحور الدنيا .. رسمت صورتها على الأمواج حفرت اسمها فى قلبى رأيتها فى كل الناس ، زوجتها لرجل آخر وعشت فى ذكراها .. جسد بلا عقل هائم فى كل وادى أسعى وراء أى صورة تشبه صورتها .

وكان (س . ج) غارقا فى نظرياته وفلسفاته .. و (ع ، و) يغنى على الجيتار . اقترب « حلمى » من

« غريب » ودنت شفاه من أذنى صديقه ..
وقال :

« ندى » يا « غريب » كانت قد فقدت إيمانها بالمشاعر والأحاسيس الراقية المهذبة وتصورت أن كل العلاقات تبدأ بموعد وتنتهى بانقضاء مصلحة .. لما التقت « بشريف » كثر ترددها على وكانت تسألنى ماذا ينتظرها عنده .. ؟

فبعد أن دخل البيت وقام بتنفيذ الديكور .. كانت تكلمنى عن شىء لم أجرؤا أن أعترض عليه .. قالت .. إنها تسترد حرمة البيت ..

وكانت تكلمنى عن مشاعر مليئة بالحيوية والنضارة والصدق .. وتحكى عن نظرات مليئة بالحياء تتبادلها مع « شريف » .. وتقول أنها نظرت مشحونة بأحاسيس ليست مفهومة .. حتى أحسست أن « ندى » قد عادت عذراء لم تشم رائحة الرجل .. فتخجل من لمسة غير مقصودة كأنها طفلة تسير على حافة نهر أو أرض بور قد شققها الجفاف تستقى الإحساس بالدفء من حركة مقصودة ، أو من علاقة بريئة وكنت أحسن أنها عادت إلى المرأة الحقيقة التى وأدتها أنت فى أعماقها .. كنت أرى فى عينيها أنسياب

دموع مخنوقة ورجفة أحاسيس بريئة ، وعودة للحياة ..
قالت لى ذات يوم :

إنها تمنت لو تمزق جلدها أو تغير دمها .. ثم زهدت فى علاقتها بأصدقائها ومعارفها .. وقالت إنها كانت مهجورة رغم علاقاتها .. ثم قطعت صلتها بهم جميعا حتى مكالمات التليفون كانت تتصور أنها خيانة « لشريف » ، « ندى » يا « غريب » أصبحت مثلا للإخلاص .. وأنت لا تنكر أنها كانت مثلا للتضحية عندما أعادت لك أموالك ..

اخفض « غريب » رأسه وقال :

ما أراه أنا قد يختلف مع ما تراه أنت .

أجابة « حلمى » .

« شريف » جعلها تعقد صلحا سريا بينها وبين نفسها . ثم شارت عليه هو الآخر واعتبرته الذنب الوحيد فى حياتها لانه أعاد تكوينها من جديد .. ووضعها فى قوتى جذب بين شخصية عاشتها وشخصية مخنوقة فى أعماقها تتمنى أن تعيشها .. « شريف » جعلها تطيح بمصالحها مع الناس حتى لا تشعر أنها تخونة أمام نفسها .

(ع ، و) وكان يغنى و (س . ع) يغنى وراءه ..

والشاب الذى جلس بين الزوجين .. حدق فى عينى الزوجة بعينيه واقترب منها .. كأنه يبحث عن سر .. ثم قال : كانت تشبهك تماما .

وصمت (ع . و) عن الغناء وقال :

« قليل منا من يعرف لغة الحياة .. كنت من الكثيرين الذين يجهلون « لغاها » .. والحياة لها نمط وأسلوب ، شخصيات تعشقها وأخرى تطاردها .. ولأنى فقير لا أملك علما ولا فكرا ولا مالا ولا شيئا غير صوتى .. فكنت أغنى .. والناس تغنى ورائى ولا أعرف من أين بدأت ولا كيف أعود ؟

دمعت عينا « غريب » واقترب من « حلمى » وقال :

ألا تعرف انى عندما دعوتها إلى الحج فى العام الماضى قلت لها أنى نادم وأريد أن أتوب .. ؟ وطلبت منها أن تغتسل من ذنوبها .

صمت « حلمى » برهة وقال :

فى هذا الوقت كان « شريف » قد طهرها من كل لوثاتها وكانت تعتبر القدر أرسله إليها كى يعيدها إلى نفسها ..

انتابت « غريب » لحظة يأس صمت خلالها دقائق ثم انتفض كأنه تذكر شيئا فجأة وقال :

أين الأولاد ؟

– وليد فى « مرسى مطروح » .. وسعد فى « الاسكندرية » .

كان الشاب قد اقترب من زوجة الرجل وقال :

لعلك الحب الذى بحثت عنه ..

وعاد (ع . و) يغنى على ناى .. و (حـ . ع) يقرأ قصيدة و (س . ح) يدخل معلومات إلى معلومات أخرى ..

وكان الشاب قد اقترب جدا من زوجة الرجل واحتضن يديها بين يديه وأسقط رأسه على كفيها وابتلت ملابسها بدموعه وبكت على صدره فاقترب بشفتيه من وجنتيها ..

فى حين جلس زوجها مع (أ . ع) وقال :

لا أعرف ماذا رأى فيها ؟ أصبحت أهرب من البيت لأنى أتحاشى وجودها .. ؟

هل يوجد قانون يستميل المشاعر ؟ أو يشترى الحب ؟

غنى (غ . و) على ربابة ، وقال (س . ج) مرضى مستعصى ، يدخل إلى النفس مباشرة .. كل منهم فى عينيه سؤال :

لم خلقت ؟ ولماذا طولبت ؟ ومتى تكف النفس عن البحث فى أسرارها ؟

وكان « حلمى » قد ترك « غريبا » جالسا بمفرده وذهب إلى أحد الغرف وعاد منها وهو يحمل مظروفا وقال ؟

هذه الرسالة تركتها لك « ندى » قبل أن تذهب إلى اليونان مع « شريف » .

مزق حواف المظروف .. وقرأ السطور القليلة التى كتبتها :

من يكون الزوج الحقيقى ؟ الذى يرعى حرمة المرأة ويصون كرامتها أم الذى يدفعها إلى الخطيئة ؟

لوعدت إليك أكون قد خنت نفسى وخنت « شريف » لن أعد إلى مائدة الرهان وقد عاهدت نفسى أمام البيت الحرام ألا أخون « شريف » مهما كان الأمر . « ندى ».

قام « غريب » كالنائم .. وفتح الباب وخرج ..

مشى فى أى شارع ، أو فى طريق .. بلا هدف .. وكان صوت المغنى ينبعث من النافذة ..

والنجفة الكبيرة تضىء الشارع لأقصى امتداد له .

المفقود ! ذاكرة .. ؟

ضاعت منى .. أضاعتنى .. نسيتها .. نسيتنى ..

تاهت .. فى زهوى بصفحات من الماضى .. ذهبت فى صدى صوت ذكرياتى .. راحت تسأل عنى أوراقا صفراء ..

أين ضاعت ذاكرتى .. عند من فقدتها .. ؟ فى أية لحظة .. ؟ فى أى ساعة .. ؟ فى أى يوم من الأيام .. ؟

رعشة خفيفة أصابت أصابعى .. قطرات من القهوة اندلقت فى الطبق ..

أحنيت رأسى قليلا .. جففتها .. صورة لوجه حائر داعبينى .. انعكست على دائرة الفنجان فوق سطح القهوة .. أملت رأسى قليلا .. خايلتنى .. اعتدلت .. اعتدلت هى الأخرى .. أين كان هذا الوجه الذى لم أدقق فى ملامحة منذ فترة بعيدة .. ؟

ابتعدت .. أبعدت وجهى عن الفنجان .. وضعته فوق المنضدة .. على ورقة من جريدة قديمة .. سبحت فى شىء

لا أحدده .. الصفحة الصفراء اقتربت .. حروفها برزت .. هربت منها .. طاردتنى .. الاسم مكتوب بخط عريض .. واضح « رجاء راجى »

طيف عابر مضى .. وأخذنى .. أطوف وراءة .. أعبر طريق .. الحياة فى طريقة .. أبواق السيارات ملأت سمعى .. المحال المزدحمة بالناس .. تقاطعات المرور .. الزحام فوق الأرصفة .. الجرائد الملقاة فى الطريق .. السحابات الرمادية السارية فى السماء .. متى كان هذا اليوم .. ؟ فى أى عام .. ؟ فى أى شهر .. ؟ صورته تطاردنى .. شيئا ما يثبت وجوده فى أعماق .. يقتحم أيام عمرى ..

أصوات ذات نبرات متميزة تستحوذ على سمعى .. أيادى تصافحنى بترحاب .. تشد على يدى بإحساس يغلفه الإصرار .. وجوه تثور .. وتبتسم وتغضب .. وتهدأ .. كلام يحوطنى .. إذا هبط المستوى الثقافى : المؤسسة ليست مسئولة عنك .

– مزيد مزيدا من الاتقان والتفوق ..
– مزيدا من الحماس التدفق ..
– مزيدا من الثقافة والابتكار ..

قوة شيطانية تتدفق فى رأسى .. أحساسي جديدة تتولد .. طاقة مكبوتة تتفجر .. رؤية جديدة لكل شىء .. منظار جديد للحياة .. مداد يسطر أوراقا .. لا أعرف بأى قلم كتبت .. ؟

أحاسيس خلاقة لا أعرف موطنها .. مشاعر انطلقت فى سجن الهجر .. طاقة جهنمية قد أطلقت قيودى .. بحر من الابتكار يغرقنى .. حلقت على باب طاقة من جحيم .. ومضة من بريق الحياة اختطفتنى ثم ألقت بى فى الشارع .. بين أبواق السيارات والمحال المزدحمة بالناس ..

ماذا حدث .. ؟ لم نسيتنى « مؤسسة الأمجاد الصحفية » .. ؟ كيف ضاعت من ذاكراتى .. ؟ أين مشببت .. ؟ أين وصلت .. ؟

سقط ستر اللامبالاة .. افقت فى غفوة الاستغراق فى الصمت .. حلقت على سطح الحياة من جديد .. صور غائبة عما حدث تتجسد فى مرآتى ..

« فاخربك » رئيس تحرير مؤسسة الأمجاد الصحفية .. « سالم سلامة سليمان » قسم التحقيقات .. « الأستاذ ساهر » .. أين هم الآن .. ؟ أما زال الاسم الذى انطوى

بين الصفحات يطوف بخواطرهم .. ؟ من منهم يذكر « رجاء راجى » .. ؟ أصابعى تمردت على عقلى .. تسللت .. زحفت .. تناولت سماع الهاتف .. أدارت الرقم .. إحساس غامض سرى فى صوت الرنين .. خليط من الخوف والارتباك والتردد .. كاد عقلى يتدخل يقتطع الصوت وصداه .. الو .. « مؤسسة الأمجاد الصحفية » ..

كلماتى خانت إصرارى .. انطلقت من بين شفتى ..

- « فاخر بك » من فضلك

- من .. ؟

- « رجاء راجى » ..

- لحظة واحدة ..

طيفة قادم من بعيد عاد يلوح .. يشدنى إليه .. يوقظ أصوات مترددة فى زمن لم يمضى .. أطرق كل الأبواب .. كل الصحف والمجلات ثم عودى إلينا .. الباب مفتوح تيقظ حنين مزروع فى جذورى الأدبية .. تجسدت المؤسسة تاريخ وشخوص .. أفكار وفلسفات .. تجسدت حياة خاصة مستقلة بذاتها .. الصوت قطع حبل أفكارى ..

- آلو .. « فاخر بك » رحب بك كثيرا

جدا .. نحن فى انتظارك .. لم أصدق .. قالت هذا أم توهمت .. ؟ لم أصدق .. قالت هذا .. ؟ أم تمنيت .. ؟ سرقتنى الدقائق والثوانى .. نهبت الأرض .. ذبحت المسافات .. قدماى توقفتا على عتبة المؤسسة برهة ..

قيدت العتاب .. سجنت وحشتى .. أطلقت الخوف والتردد والتراجع .. كل الأيادى صافحتنى .. لعلى توهمت .. الابتسامات تلقت أيام ضائعة .. لعلى تمنيت .. لا أعرف .. لكن الباب مفتوح .. السكرتيرة تبتسم .. يدها أشارت نحو مكتب « فاخر بك » بما يعنى « تفضلى » ! ..

باب مكتبة أيضا مفتوح .. « فاخر بك » .. نهض تقدم خطوات .. يده مفرودة لآخرها .. أشار لى أن أجلس على المقعد المجاور لمكتبة .. ابتسامته احتوت كل الخوف والتردد والارتباك .. أعادت الطمأنينة .. أرسلت الارتياح .. جلس على مقعدة وأشار لى أن أتكلم .. ذهبت فى بحر من الأحلام .. تكلمت :

– المؤسسة قدمتنى للناس ..

تغيرت ملامح وجهه .. ضحك ضحكة لم أفهمها .. وضع السيجار فى جانب من فمة أشعله بهدوء شديد .. ثم

قال :

– لا أفهم .

لعلها دعابة .. لا شك هى دعابة .. ابتسامتى لم تهجر شفتى .. واصلت الحديث .. تكلمت .

– من كثرة ما شعرت بالاهتمام أحسست أنه تبنى ..

أسند ظهره على ظهر المقعد .. تراجع للوراء .. احتدت ملامح وجهه .. نثر رماد السيجار فى المطفأة .. صمت قليلا .. ثم تكلم فجأة كأنه تذكر شيئا ..

– لا أتذكر غير الأبناء الشرعيين .

دعابة أخرى .. لا شك أنها دعابة .. إما دعابة وإما حُلما .. لعل الذى مضى كان حلما ولعل الذى يحدث الآن هو الحلم .. إذا كان أحداهما حلم فأين الحقيقة ؟ انساب العرق من يداى .. عدت بذاكرتى للوراء .. لعلى اغضبته دون أن أدرى .. لعل الذى أبعدنى كان شيئاً جسيما .. لعلى لم أكن قريبة منهم أبدا .. لعلى اختلقت وهما وعشته ..

تساؤلات وتساؤلات .. لم يقطعها إلا كلمة عابرة :

انقطعت فترة طويلة عن المؤسسة لكنى لا أذكر السبب الحقيقى الذى أبعدنى ..

تغيرت ملامحة مرة أخرى .. ابتسم ثم ضحك .. تغير

آخر طرأ عليه .. سحب نفسا عميقا من السيجار .. امتلأ المكتب بالدخان الرمادى .. تكلم بهدوء مخيف ..

– طلبت مقابلتى فوافقت على الفور .. رغم أنى لم يسبق لى أن تعرفت بك .. أو حتى قرأت هذا الاسم على صفحات صحيفة الأمجاد أو حتى آية صحيفة أخرى .. من أنت .. ؟

غرقت فى بحر الحرج .. انهارت كل ثقتى .. رفعت رأسى .. تأملت وجهه .. كان يبتسم ابتسامة مشحونة بالخبرة والثقل والهدوء الغامض ..

نفض رماد السيجار فى المطفأة ثم قال :

– « رجاء راجى » ؟؟؟

سبح كأنه يتذكر شيئا ثم عاد يتكلم :

– إسم موسيقى له رنة متميزة ..

أصابعة رسمت موجة بحر فى الهواء .. ثم قال بلهجة حادة :

– ماذا تريدين .. ؟

لم أدر بشىء .. سحابات رمادية تبتلعنى .. أين الأستاذ « ساهر » .. ؟

أين « سالم سلامة سليمان » .. ؟ أين « فاخر بك » .. ؟

السقف تمايل .. الأرض اعوجت .. المكتب دار حولى .. لا أذكر صافحته أم لا .. لا أذكر ماذا قلت .. ؟ اندفعت أجرى .. أهرول على الدرج .. أتوارى فى كل الوجوه .. أختبىء من أحساسى بالحرج .. أجرى .. اصطدم بوجه يصعد الدرج .. أسأله ... اين « مؤسسة الأمجاد الصحفية » .. ؟

المح ضحكة ساخرة مصاحبة للصوت .. « كانت هنا وذهبت » ..

أجرى .. أتلاقى مع وجه ينهب بالدرج جريا .. أسالة : أين « مؤسسة الأمجاد » .. ؟ يهز كتفيه .. يدقق النظر فى وجهى ثم يجيبنى « فى الشارع المجاور » ..

أجرى .. أتلاقى مع سيدة تحمل أوراقا .. أسألها : « أين مؤسسة الأمجاد » .. ؟

تتأملنى علامات الاستفهام تملأ وجهها .. ثم تجيبنى « فى محافظة أخرى » ..

أجرى .. أصطدم بالرجل الجالس فى الاستعلامات .. أسأله .. أين مؤسسة الأمجاد .. يضحك .. يغرق فى نوبة

ضحك .. ثم يجيبنى « مضت حضور ثم اعتذرت » ..

خرجت إلى الشارع .. لا أعرف لم جئت .. ؟ ربما أنى فقدت الذاكرة أو جننت أو انتحلت اسم « رجاء راجى » .. انتحلت اسمها .. انتحلت اسمها ؟ من أكون .. ؟

مشيت .. جسدى لا يتحمل رأسى .. قدماى لا تحملان جسدى ..

اندفعت صدمنى شاب يمضى مسرعا .. وقف .. وأقفنى .. ابتسم .. مديده يصافحنى .. دهشة امتزجت بالسؤال .. « رجاء راجى » .. ؟ أين أنت ؟ كل هذا الانقطاع .. ؟ لم .. ؟ منذ بضعة أيام كان « فاخر بك » يسألنى .. ترى استطاعت « رجاء راجى » أن تشق الطريق .. ؟ أم تراها تعثرت .. ؟

ذاكرتى عادت تنسحب من رأسى .. لا أفهم أى شيء .. عدت بلا ذاكرة .. أكان لابد أن أعود .. ؟ أم كان لابد ألا أعود .. ؟

شردت .. أتاهنى الطريق .. الضحكة أفاقتنى قليلا .. « سالم سلامة سليمان » كان يتكلم ويضحك .. أين شردت .. ؟

- « فاخر بك » ينسينى .

ضحكته ازدادت ارتفاعا قال :

- « سلامة سليمان » أيضا نسينى لأنى انقطعت عنه عاما بأكمله ..

تسمرت مكانى .. جففت دموعا كادت تنساب .. تلاشى الإحساس بالحرج .. انتابتنى نوبة ضحك .. عادت إلى ذاكرتى .. هذه هى « مؤسسة الأمجاد الصحفية » .. صافحته ومشيت تناثرت الكلمات بين الخطوات .. الأمس ليس هو اليوم .. الحاضر ليس هو الماضى .. الزمن لا يعود للوراء ..

مشيت .. سحابات رمادية تحوطنى .. جرائد .. ملقاة على الرصيف .. أبواق السيارات تمزق سمعى .. متى كان هذا اليوم .. ؟



كل أحداث العالم فى قلبى

لن أتفرغ يوما واحدا .. ساعة واحدة .. بضعة دقائق .. بضعة ثوانى .. لن أتفرغ ..

لحظات العمر مشغولة .. تدور فى دوامة .. تنهال عليها كل أحداث العالم .. دوامة تتصارع فى قلبى .. زحام شديد يتكدس فى رأس .. آلاف القضايا .. مئات الوجوه .. عشرات الارتباطات واللقاءات .. متى ألبى النداء .. ؟

الأستاذ « خاطر » طلب مقابلتى لأمر هام .. فورا .. حالا .. فى أسرع وقت ممكن .. طاردته حكاية من الماضى .. أو حادثة من الحاضر .. أو طيف لأحاسيس مقبلة .. متى ألقى به .. ؟ متى أفرغ سمعى فى كل هذه الأصوات المدوية فى سمعى .. ؟ كيف ينسلخ قلبى ويتحرر من كل هذه النبضات الحائرة .. ؟ متى تكف روحى عن البحث عن روح تألفها .. ؟ متى تردنى رحلة فى أعماق ذاتى .. ؟ متى تنفصل كل هذه الأصوات المنصهرة والمتصارعة .. ؟

أنا صاحب القصة .. القصة قصتى .. أفتعل حكاية لم تحدث .. كلهم كاذبون .. القصة بلا أبطال .. بل كلهم أبطال .. لم تحدث كل هذه الأحداث .. كل منهم عاشها بمفهومة الخاص .. كلهم ينسون أحداثهم .. وأحيانا ينسون حقيقهم .. وأحيانا ينسون أنفسهم ..

ضحكة صاخبة دوت من وراء الجدران .. طغت على كل الأصوات أضاعت إحساسا خافتا بالشجن .. أو بالضياع أو حتى بالتشتت الصوت غامض أو غريب أو بلا هوية :

الأستاذ صادق « الكاتب المعروف أراد ان يكتب هذه القصة .. لم يأت بها خياله .. ولم تصنعها أحداثه .. قصة مكتوبة فى كتاب العمر .. سطورها ناقصة .. نهايتها مجهولة .. دائما النهايات مجهولة .. « ضحى » كانت بداية .. ستة عشر عاما حائرة فى عالم لا تفهمه ولا تعرف كيف تعيش معه .. ؟

الطفلة المرأة أو المرأة الطفلة .. نسمة طوافة .. تعبر الأخيلة وتمضى ويظل الخيال يسعى وراءها .. وقد يجرى وراء سراب لا وجود له .. ضحكة صافية بريئة ..

مسالمة .. دموع محبوسة .. رحلة شاردة فى قطار الحياة .. أرادت أن تعرف المركز الحقيقى فى قلبها .. الصدق .. المشاعر المجردة من كل إضافات .. أطاعت قلبها واستسلمت له .. اتاهها .. كاد أن يحتوى العالم بأسره .. لكنه لم يحتوى مشاعره ..

لعل العالم المحيط بها لم يشعر بهذه الحقيقة .. ولعل الظروف قد ساقت « رمزى » ليكون الشخص الأول الذى استطاع أن يشعر .. رغم أنه قد لا يعرف .. لكن كفى أنه يشعر ..

عندما رآها لأول وهلة .. انطبعت صورتها فى خيالة .. صنع لها تمثالا من المرمر .. كان يحاول أن يظهر حقيقة « ضحى » فى تمثاله لكنه لم يستطع .. الحرية .. الإقبال على الحياة .. الحساسية القاتلة .. المشاعر الحارة الصفاء .. كل الصفات المخلوقة كيف تتجلى فى تمثال ولو كان من الذهب الخالص .. ؟

كيف تنطلق الفرشاة أو يتحرر الصلصال .. أو يجمح القلم ليطلق معانى حقيقة مخلوقة .. ؟

مسح صورة من « ضحى » ونسى أن يسأل نفسه هذه

الصورة « ضحى » أم « ضحى » هى الصورة .. ؟

هى أيضا نسيت تسأل نفسها هذا السؤال .. أسقطت كل لوائح الممنوع المقيدة من سنين عمرها المعدودة .. خبرتها المعدمة بالحياة .. عدم اعتراف المجتمع والأهل بأن لها رأيا مستقلا وشخصية واعية .. تحدث كل هذا .. كانت ناسية وكان « رمزى » يضا ناسياً .. تزوجا وهما ناسيان .. وبعد بضعة أشهر أصبحت أصغر مطلقة فى العائلة والحى وربما المدينة بأكملها .. مرة أخرى تحدت العرف والتقاليد .. صارعت الظروف وصممت على الطلاق .. لم تبال بكل محاولات الصلح .. كل من يعرف الأمر يحتار فى أمرها .. لم صممت أن تتزوجه ؟ ولم صممت على الطلاق منه .. ؟ تعللت بأن شيئا ما تغير داخلها .. نقطة تحول مفاجئة قد تكون فاصلا بين الحب العذرى وبين الزواج .. لم يحتمل « رمزى » هذه الحقيقة .. تارة يبكى كطفل شارد وتارة ينفق أيامه بين اللهو السهر .. وتارة ينطوى على نفسه .. كاد أن يجن وهو لا يعرف لم تجاهلت كل محاولاته فى إعادة الحياة بينهما .. ؟ تعللاتها الساذجة لم يعترف بها الناس .. حصلت على الطلاق ثم عادت تبتسم للحياة كان

شيئا لم يحدث .. ابتسامتها كانت تطغى على إحساس بحزن عميق مدفون فى أبعاد مجهولة .. حلقت على جناحين طائرين فى الفضاء .. نسيت أنها كانت متزوجة ونسيت أنها أصغر مطلقة .. مضت تشق طريق الحياة .. ترفض عروض الزواج .. تسخر من الحديث عن الصداقات بين الجنسين .. تطيح بأية محاولة لأية علاقة .. كانت تدير وجهها لكل شىء .. أصبحت أشبه بشيخ زاهد أو عابدة مهاجرة بعيدا عن أبناء الأرض .. اندست داخل قلبها .. سألته وحاورته .. حيرها .. اعتقلها .. تركها شاردة .. عذبها .. ولم تستطيع الانتصار عليه .. دفعها أن تبحث عن الحقيقة فى روح تألفها ..

كلهم كاذبون .. خيالات أوهام .. شخصية وهمية ولا وجود لها .. هل حقا توجد شخصية اسمها « ضحى » .. ؟

الصوت حاصر سمعى .. لعله ساخر .. أو متهكم .. بأى سمع أسمعه .. ؟
لا أعرف .. لكنه ما يزال يتجول فى رأسى ..

« الأستاذ صادق » أيضا شخصية وهمية .. لم يكتب

شيئا فى هذا لأنه لا توجد فتاة أسمها « ضحى » ولا يوجد كاتب اسمه الأستاذ صادق يد خشنة شدت يدى .. سحبتنى إلى مرآة كبيرة .. وجه لمسته تجاعيد مبكرة .. دموع لم تنحدر .. صوت متهدج ..

كلهم كاذبون .. حقا .. ؟ كلهم كاذبون يختلقون حكايات وهمية ويعيشون بداخلها يريدون الحروب فى الواقع .. صدق القصة قصتى .. قصة حقيقية .. بلا مثالية ولا تسامح .. ولا تلك .. الافتراءات الوهمية .. لست بطلا .. وربما نوع من البطولات بطولة مهزومة .. أنفرَّد بالهزيمة .. « حمَال » بسيط .. يلملم قطعا من الخردة ويبيعها لينفق على زوجته وأبنائه .. تغيرت الحياة وتبدلت .. ركب سيارة تحمل المهجرين من منطقة القناة إلى قلب القاهرة .. لم يخطر بباله أن هذه القطع المهملة من بقايا معدات حربية خربة أو محطمة .. سوف تكون الصفقة الأولى .. وبعدها تتعدد الصفقات .. وانحول من الحمال « زيدان » إلى الحاج « زيدان » إلى « زيدان بك » .. إلى المليونير « زيدان » .. رجل الأعمال المشهور .. عالم واسع جدا ، وخانق جدا .. بذلة تقيد حريتى .. طريقة كلام لم

اعتدها .. سجن فى أشياء خانقة يسمونها « البرتوكول و « اتيكيت » .. واسماء مطولة ومعقدة لا أعرف كيف ينطقونها .. ؟ السكرتير الخاص أصبح مطلعا على خطواتى .. دائما .. يكتمل لى .. لو استطعت لجعلته يكمل كلامى فى البيت أيضا بين هذه الخفنة من الأبناء الذين تخرجوا من الجامعة .. وأصبحت أخاف أن أتكلم أمامهم حتى لا أخطىء وأجعلهم يسخرون منى وأفقد هيبة الأب أمامهم .. « حمدى زيدان » فقط هو الذى تربطنى به علاقة وثيقة .. كبيرهم .. الذى عاش معى أيام الفقر والحاجة لم ينل حظا وافرا فى التعليم .. أستطيع أن أتفاهم معه .. ولكن شيئا خفيا بين وبينه .. وعلاقة ليست مفهومة .. أحيانا أحبه حبا جنونيا .. أريد أن آتى له بكل شىء .. وأحيانا لا أطيق وجهه .. أحيانا أطرده من البيت وعندما يخرج ولا يعود .. أظل أبحث عنه حتى أجده .. أحيانا أتمنى لو أحطمه .. وأحيانا أتمنى لو أهرب منه .. وأحيانا أشعر أنه صفحة فى كتاب حياتى لا أستطيع الفرار منها .. صفحة واحدة فقط .. لا بل صفحتان .. ثلاثة .. أو عدة صفحات .. بينهم صفحة « ضحى » لم أستطيع أن أقرآها لا أعرف كيف أقرأ .. ؟

كانت قد تزوجت « رمزى » ابن صديقى .. لحظة تهور جعلتها تتزوجه رأيتها مرات عديدة .. كانت حلما لا أعرف متى يتحقق .. ؟

عرفت أنها طلقت منه .. بعد عدة أشهر ذهبت إليها كانت مقيمة فى بيت العائلة .. سبقتنى صفائح من الجبن الأبيض .. وأخرى من المسلى .. وصندوق من البيض وعدة دواجن حية .. وجهها أول وجه قابلنى .. ابتسمت ثم سمحت لى بالدخول .. لم تنتبه لهذه الهدايا .. لم ألمح البريق الرائع فى عينيها .. ولا حمية الشباب ولا خفة الروح .. لا أعرف أين اختبأ الجمال الذى تزوجه « رمزى » ؟ كانت شخصا آخر .. صورة تشبه « ضحى » لكن ضحى الحقيقة لم أجدها .. اختفت .. ضاعت .. أضاعها المثال .. الطائش .. ابن الفن الضال .. هؤلاء الذين يعيشون فى بحر الخيال .. دائما يلعبون بمصائر الناس .. يلعبون بالصحف والألوان .. وهم يجهلون مطالب الواقع ..

غدا سوف تنساه هذا الأحمق .. عندما تنساه تشعر بى وتعرف أن الرجل الحقيقى هو الذى يعرف متطلبات المرأة .. يوفر لها الاستقرار .. والحماية والحنان .. يستوعب طاقتها الأنثوية .. ومطالبها المادية ..

وعدتنى نفسى بالآمال .. أرسلتنى إلى « ضحى » مرة ثانية .. سبقتنى بضعة أقفاص من الفاكهة .. هى التى فتحت الباب .. تركتنى واقفا وعادت بعد بضع دقائق وهى تستتر بثوب أخفى جسدها كله ثم سمحت لى بالدخول .. وتمكن الأمل فى كل كيانى .. تأكدت أن كل حديثى مع نفسى كان صادقا « ضحى » هى الزوجة المناسبة .. امرأة محتشمة .. تحتاج إلى رجل يعرف قدرها .. هذه الحقائق لن يفهمها هذا العابث بالصلصال .. لعله لم يستطع أن يشبع غرائزها ..

وعود ووعود ملأت قلبى بالأمل .. حتما سوف تحبنى .. وسوف تفهم الفارق الكبير بين هذا الطائش وبين رجل متزن .. بفهم كيف يعاملها .. ؟

كانت جالسة أمامى .. ترحب بى فى ضمت .. لم أنتظر غير بضعة دقائق .. كل الكلام تاه من بين شفتى لم أجد ما أقوله .. لم تنتظر حتى يأتى بقية أفراد العائلة .. نهضت قبل أن يخوننى لسانى وأتكلم كلاما يدفعهم للسخرية .. مشيت .. ولكنى قلبى لم يغادر حجرة الصالون .. ظل معلقا هناك .. أرقنى مضجعى .. ثم أخذنى مسلوبا بلا إرادة

ورمانى أمام بيتها .. تسبقنى عدة سيارات تابعة لأفخر محال الحلوى فى القاهرة .. محملة « بالتورتات » و « الخيلاتى » . و « المسكرات » و « الشيكولاته » . وأشياء أخرى لاأعرف أسماءها .. ذهبت إليها بعدما سمعت صوت عقلى أصغيت له كل الإصغاء .. كل النساء تبهرهم الثروة .. وأنت تملك عدة عمارات فاخرة .. وأطيان .. وأراضى .. وسيارات فارهة ومشاريع ضخمة وشركات مشهورة لم لا تقبلنى .. ؟ لم أجد إجابة على هذا السؤال .. إلا مستحيل أن ترفض .. بمجرد أن فتحت الباب كعادتها .. انعقد لسانى أمام لهجتها الدمثة .. غرقت فى بحر من الغموض يجرنى إليه وجهها الذابل .. هربت منى كل الكلمات .. انسحبت من بين شفتى اعتذرت عن مواجهة « ضحى » وتركتنى جالسا كتمثال فى الثلج متجمد داخل .. بذلة فاخرة .. تساؤلاتى تضرب كل الجدران من يعلمنى الكلام .. ؟ من يعلمنى كيف أختار لها أنواعا الهدايا .. ؟ من يعلمنى أصول المعاملة .. ؟ من يعلمنى هذا الشىء الذى يسمونه لباقة .. ؟ لم أجد كلاما أقوله .. تركت مظروفا مغلقا على عدة مئات من الجنيهات .. وتعللت بمشاغلى الكثيرة لأهرب قبل أن أتكلم .. لم

تصدق .. لم تشكرنى .. لم تتبدل .. لم تنبهر لم يتغير شيئا بداخلها .. كانت تائهة أو شاردة أو غائبة .. كانت سطورا لا أعرف كيف أقرأها .. ؟

لغة ليست متداولة .. ألا أعرف كيف كان أول حرف من حروفها .. زهت الحياة فى قلبى .. أياما وأياما .. ولكن .. لأنى لا أعرف كيف أتكلم .. ؟ أرسلت إليها قطعة من الحلى الثمينة .. ولم أذهب .. هربت من طلاسم هذه اللغة المجهولة .. لكن الحياة فتحت ذراعيها .. احتضنتنى .. وصلتنى أول مكالمة تليفونية من « ضحى » كانت تشكرنى بلهجة لم يمسها إحساس بالسعادة .. أو شعور بالانبهار .. لدرجة لم أفهمها .. لكن اكتفيت بكلمة شكر مجهولة المحتوى .. غامضة الأبعاد .. كلمة واحدة جرتنى فى نفس الليلة .. أذهبتنى إليها .. لم تسبقنى هداياى .. لم يسبقنى شىء .. فقط مفتاح سيارتى المرسيدس كان يتلوى بين أصابعى .. لأول مرة « ضحى » لا تفتح الباب .. فتحته إحدى قريباتها .. استقبلتنى .. أجلستنى .. فى حجرة الصالون .. وبعد أكثر من نصف ساعة .. وجدت « ضحى » تقف أمامى .. ملامحها

ثائرة .. على شفتيها كلمة تنتظر حكما بالإفراج .. لكنى لم أبال بكل هذا .. تجرأت وعرضت عليها الزواج لا أعرف بأى طريقة تكلمت .. ؟ لا أعرف إذا كنت أخطأت أم تكلمت بأسلوب جارح .. أم لا معنى له .. لا أعرف كيف تكلمت ولا ماذا فعلت .. ؟ لا تلقى سوطا عنيفا يلهب ظهرى .. مفتاح سيارتى ملقى على المنضدة بلا مبالاة .. هدية موافقتها على زواجنا .. ارتمت أمامى .. وبجوارها قطعة الحلى الثمينة والمظروف المطوى على أوراق البنكنوت .. وجدت أشيائى أمامى تسخر منى .. صوت « ضحى » يقتلنى تهكما ..

– دفعت ثمن قلبى يا « حاج زيدان » .. ؟

توترت الكلمات على شفتى .. سقطت فى باطن أعماقى ..

– لا أعنى هذا ..

تشابكت أصابعها حول ركبتيها .. ثم حلت قيدها تلقائيا .. ووقف فى وسط الحجرة تتأملنى وتتأمل أشيائى المنثورة أمامى وقالت :

– لو كان هناك سوق للقلوب .. لو ملكت قلبى مثلما

تملك أنت هذه الأشياء .. لا ستطعت أن أتصرف فيه كما أشاء .. .. التقطت مفاتيح سيارتى .. انحلت عقدة لسانى .. لأول مرة أتكلم ..

– قولى أن « ضحى » كثير .. كثير جدا .. على رجل جاهل اسمه الحاج « زيدان » قولى أنك استخسرت هذه الثروة المكمونة فى هذه الثروة الملموسة ..

لا أدرى كيف نهبت الدرج قفسزا .. قطعت الخطوات دهرا .. لكزت سائق سيارتى فى كتفة أن يمضى بأقصى سرعة .. يضرب العالم .. يحطم الخطوات .. يضيع كل القلوب .. يحطم كل المستحيلات .. يسحق كل الألغاز .. بأى ثمن أجد الحب .. ؟ عند من .. ؟ كيف يتعلمه الناس .. ؟ هل أرسل فى استدعاء أكبر أساتذة .. ؟ أين هم ؟ أين الجامعة التى تعلم الحب .. ؟ من أستاذه الكبير .. ؟ من شيخة .. ؟ من معلمه الأوحد .. ؟ من خبير القلوب .. ؟ من .. ؟ من .. ؟

سحابة بيضاء .. مرت أمام زجاج النافذة .. لون أزرق هادىء سرى فى قلبى قرص الشمس البعيد أرسل شعاعه الخافت فى رأسى .. معالم الطريق اختفت .. تذكرت أن

نسيت .. الحب ليس من صنع البشر .. الجملة ترددت داخل أفكارى .. صحبتنى .. الحب ليس من صنع البشر .. لم أصعد درجا فى بيتى البيوت الكبيرة دائما بلا درج .. الكلمة أخذت تتردد .. وتصاحبنى .. البيت خاوٍ إلا من زوجتى التى تحيا حياتها الخاصة بين أوانى الطبخ .. « بناتى » أيضا كل منهن لها حياتها الخاصة .. لا أعرف عنهن شيئا غير الذى يحكوهن مختصرا قليلا لا أفهم منه أين الحقيقة .. ؟ الكلمة ظلت تصاحبى .. الحب ليس من صنع البشر .. ذراع « حمدى زيدان » أحاطنى .. يده ربتت على كتفى صوته الخافت كان يخفى مطلبا .. لم أنتظر حتى يتحايل على الموقف كعادته ليطلب ما يريد .. دفعته أن يتكلم بسرعة .. بلا مقدمات .. كما يريد .. ؟

طلقة طائشة اخترقت سمعى .. ضحكة بلهاء فتتنى ..

- أريد أن أتزوج « ضحى » .

« ضحى » .. ؟ الاسم تردد . ما يزال يتردد .. لعله جن .. فقعد عقله .. « ضحى » مرة أخرى .. ؟

لم أدرى كيف دفعته بعيدا .. لعله وقع على الأرض .. دفعته ومشيت لكزت السائق فى كتفه أن يمضى بأقصى

سرعة .. يحطم الكوبرى العلو – حشود من الناس .. أيادى تخرج رايات بيضاء وحمراء فى النوافذ .. أجساد تتراقص « الأهلى حديد » « الأهلى حديد » .. أى بلا قلب .. ؟ متى أكون حديدا مثل الأهلى .. ؟ رجل قطع إشارات المرور جريا .. كان يحمل كلبا على ذراعية لعله نبع الحب الذى يرتوى منه .. لكزت السائق فى كتفه أن يشق الزحام .. سيارة مسرعة اصطدمت بجدار سيارتى .. قائدها كان أرعن مجنونا . قذف بقطع من تمثال مرمرى فى النافذة .. أخذ يضرب عجلة القيادة بقبضته .. تحققت من ملامحة .. كان « رمزى » زوج ضحى السابق .. حطم التمثال الذى صنعه لها .. قذف حطامه .. ورمى قلبه ..

– .. تطلب الطلاق منى لتزوج « الحاج زيدان » .. ؟

كدت أتعبد فى محرابها الخائنة .. كدت أتحول إلى عبد .. كانت تريد سيدا يتسيد على ثروته .. سيدا بلا سيادة ..

كل الدنيا تغيرت .. تبدلت فى مخيلتى .. لا أعرف ماذا أصابنى .. ؟ .. سيارتى كادت تصطدم بفتاة تعبث بالطريق .. تتقدم خطوات ثم تبتعد وتنحرف .. وتعتدلل .. وتميل رأسها شعاع الشمس يخترق غصون الشجرة الكبيرة

التى كانت تستظل بظلها .. ينفذ من بين الأوراق .. يتجرأ .. يهاجمها .. تهرب منه .. يرمى ظلاله أمام قدميها .. تجرى وراءه .. تندفع وراء الأمل .. يهرب منها .. لكزت السائق فى كتفه ليهدا من سرعة السيارة .. ثم أمرته أن يسرع .. يسحقها .. يقتلها .. كانت « ضحى » هى .. أمرته أن يستحقها .. سوف تسقط أمام سيارتى .. وأحملها بين ذراعى .. أمتلكها ولو لدقائق من العمر .. هربت من أفكارى .. لم أحتمل نفسى .. أنزلت السائق وقدت سيارتى .. بأقصى سرعة .. اندفعت تحطم واجهة ملهى ليلى .. الصورة الكبيرة المعلقة على الباب كانت صورة « ضحى » عارية تماما إلا من سترة بسيطة .. لا أذكر أننى ارتكبت جرما .. لكن الصحف نشرت صورتى والمحكمة اتهمتنى بمحاولة التعدى على الراقصة « سعاد » وتحطيم الملهى عمدا مع سبق الإصرار ..

الوجه المجعد تلاشى من المرآة .. أدار ظهره وأخذ يجفف دموعه .. لكن القصة لم تنته .. شيئا ما يزال مجهولا .. أحداث ما تزال غائبة .. حقائق لم تتكشف .. نهاية لم تأت ما دام العمر ما يزال يمتد .. من الذى حكى كل هذه الحكاية .. ؟ أتراها كل أحداث العالم .. ؟

أصوات وأصوات تتنازع فى صدرى .. فى رأسى .. فى قلبى .. صدقت كل هذه الخرافات والأساطير الوهمية .. ؟

صدقت أن حمالا اسمه « الحاج زيدان » أصبح مليونيرا .. ؟ هذه قصص ألف ليلة وليلة .. أحداث متكررة .. مستهلكة لو كان حقا مليونيرا لا شترى مئات الفتيات أمثال « ضحى » هذه لا تصدق كل هذه الأوهام .. الواقع المعاصر يختلف تماما نحن أبناء نهاية القرن العشرين .. أبناء النهاية .. نحن أبطال القصة .. أبطال الواقع المعاصر .. « سهاد » و « سيد منجد » ورئيس التحرير .. خطوات مغامرة جريئة تدق الأرض بحرية وبانطلاق .. صحفية مبتدئة .. تريد أن تعلن انتصارها على كل العالم .. عشقت بلاط صاحبه الجلالة وتفانت فى هذا العشق .. تمنت أن تتحدى كل الصعاب .. تفتح الأبواب المغلقة تتلاق مع المخاطر وتعقد صلحا معها .. .. « رئيس التحرير » الذى لا يبتسم ابدا .. طلب منها تغطية الموضوع .. قضية « سيد منجد » المجرم المتهم بالاعتداء على النساء .. مسجون .. وراء القضبان .. هكذا كانت بداية صحفية « وراء القضبان » .. لابد أن تأتى بالحكاية من الخيط الأول من اللحظة الأولى للجريمة من السبب الحقيق ..

. « سيد منجد » شاب هادىء .. محتفظ بكياسته .. ببقايا هندام ، ووسامة .. ودماثة خلق .. مجرم حقا ولكنه ليس محترف إجرام .. لأول وهلة .. وقف أمام « سهاد » يتأملها .. يغوص فى وجهها بعينين لا تفهم أغوارهما .. خليط من الغدر والإعجاب والذهول .. خليط من أحاسيس مركبة ومعقدة ..

انهارت أعصابة أمام السؤال الأول ..

– ما الذى يعود عليك من هذا الفعل .. ؟

بكى .. ثم صرخ .. ثم شد شعره .. ثم انكفأ على وجهه ثم انطلق يتكلم .. خائنات .. كلهن خائنات .. ارتمى على الأرض .. أخذ يبكى .. ثم راح فى غيبوبة .. هدأت أعصابة بعد عدة أيام .. سمح لها بمقابلته .. بمجرد رؤيتها ابتسم إبتسامة تطوى شيئا من الخبث والدهاء أخفض رأسه فى استحياء مستعار .. امام أول سؤال ..

– كيف حالتك اليوم .. ؟

خر فى نوبه من الضحك .. اخذ يضحك ويضحك .. أخذته حالة هيستيرية .. ثم ارتمى على الأرض .. عاودته حالة الإغماء .. ولم يفق ..

داخلها الشك فى أحوالة .. لم لا يكون أسلوب ذكيا للتهرب من تساؤلاتها وإلحاحها عليه فى الجواب .. ؟ لم ينهار أمام أول سؤال .. ؟ أتراه مجرما محنكا ؟ مثقفا مثلا .. ؟ لو عاودته نفس النوبة مرة أخرى .. لابد أن أبلغ المأمور أو أذهب إليه وبصحبتى الطبيب .. لابد أن أفعل أى شيء قبل أن ينتصر « سيد منجد » على « سهاد » كانت تحدث نفسها وهى تخوض الطريق إلى السجن .. قررت أن تستخدم كل الأساليب قبل أن ينهار أمام السؤال الأول .. لكن « سيد منجد » لم ينهار أمام السؤال الأول ولا الثانى ولا حتى السابع .. كان هادئا جدا بمجرد أن وقعت عيناه على « سهاد » ابتسم ابتسامة مرحبة أخذ يسترسل قبل أن تسأله .. أطلق عذابة فى سجنة .. أخرج طعنة الخيانة الأولى .. وتحرر منها .. أمة التى تركته طفلا رضيعا وهربتت لتتزوج رجلا آخر غير أبيه .. لم يبك .. لم ينهار .. أخذ يتكلم .. يمد أصابعه داخل قلبه .. ليخرج طعنة الخيانة .. يتخلص منها تماما .. زوجته التى تركت له طفلا رضيعا وهربت مع صديقه .. أخذ حبل الاسترسال يمتد ويمتد حتى وصل إلى طعنه الخيانة الثالثة المرأة التى أحبها ولم تشعر به .. ولم تعرف حتى أنه يحبها .. ولعلمها لم

تلتفت إليه لتتعرف على ملامح وجهه .. نعم لا تعرفه .. لا تشعر به .. ولكنه أحبها .. ضاع صوته فى الغيبوبة المعتادة .. ارتمى على الأرض فاقدا الوعى .. قبل أن يترابط خيط الموضوع .. قبل أن تنتبه المهمة .. مهمة « سهاد» قبل أن تذهب بلا عودة .. سوف تعود للمرة الأخيرة .. لتكمل الموضوع تماما .. هذه هى المقابلة الأخيرة .. التى تذهب فيها إلى « سيد منجد » وجهه جامد خاليا من أى مشاعر أو أحاسيس .. عيناه حزينتان .. نظرته الغامضة تقتحمها بفجور .. لهجته الإستفزازية تشقها نصفين ..

– السؤال الأخير .. ؟؟؟

– إذا أرادت .

ضحكة رعناء أطاحت بكل ثباتها واتزانها ..

– اليوم تحولت إلى مجرم حقيقى ..

– اليوم .. لا أفهم ..

– جننت ..

– من .. ؟

– أنت .. كل هذه السطور التى تنبعث السعادة إلى قلبك .. ملفقة كل ما كتبته على هذه الأوراق لم يحدث . لم تنجح مهمتك .. انتصارك زائف .. أحسست أنك

تنتحرين وراء الانتصار .. منحتك انتصارا وهميا .. إذا أردت الحقيقة فاعرفى أن سيد منجد ظل بريئا إلى هذه اللحظة لأول مرة يحاول الاعتداء على امرأة .. اكتبى على أوراقك أن « سيد منجد » كل جريمته أنه أحب أستاذة لم تنتبه له .. اكتبى الحقيقة .. كل هذه الأحداث ناقصة .. « سيد منجد » أتى بك الى السجن أجلسك إلى جواره .. أتى بك فى الوقت التى أراده هو .. بالطريقة التى أرادها هو .. لم يصب يوما من الأيام بنوبة عصبية .. لم تخنه أمه ولا زوجته ولا أحب امرأة .. لم تعره اهتماما .. واجهى قراءك بكل هذه الأحدث .. ضعى صورتى بجانب صورتك فى صفحة الحوادث .. أكتبى ..

– المجرم « سيد منجد » تدفعه أشياء خفية فى كوا من نفسه .. يرتكب جرائمة المزعومة بلا إرادة .. نوع من البشر يستهوية تعذيب البشر .. فكرى جيدا . سوف تدركين أنه يستهوية تعذيب الرجال وليس النساء .. لان كل امرأة ملك لرجل .. لذلك فهو يعتدى على مقتنيات الرجل .. اعتبرى انها قضية أجناس .. رجل يعذب أبناء جنسه .. حالة خاصة .. تفننت الكلمات من بين شفتيها ..

تبعثرت لحظة الانتصار ، أوراقها تطايرت .. القلم تمرد على غطائه .. جرى .. وظل يجرى خطواتها شرخت الأرض .. عاصفة تجتاحها .. لعلها ألعوبة ، الهدف منها أن تبتعد عن البلاط .. بلاط صاحبة الجلالة .. حيلة رائعة ابتدعها رئيس التحرير لتسقط فى بئر الفشل .. أرسلها إلى مجرم بلا قضية .. لعله كان يدرك أن « سيد منجد » سوف يبتلع « سهاد » كان يعرف هذا .. يدها دفعت الباب بالمغلق .. تعبيرات وجهها أكثر ضراوة من أى مجرم محترف .. ابتسامة رئيس التحرير ابتلعتها .. صوته الهادى أخمد نار بركانها الثائر .. عيناه قالتا شيئا ليس مفهوما .. لعله ألعوبة صحفية .. هبت واقفة .. تكلمت بكل أحاسيس الغضب .. سوف أمزق كل كلمة كاذبة .. كل ادعاء باطل .. كل .. ضحك .. بأسلوب جديد .. مختلف .. ضحكة لم نسمعها من بشر قبل اليوم .. شد ذراعها وقال :

– غدا .. غدا تعرفى كل شىء الطريق لم يبدأ بعد ..

مضت فوق دفتر الكلمات .. شقت طريق السطور .. من المتهم « سيد منجد » أم « رئيس التحرير » ؟ من الذى يختطف النساء .. ؟ بأى أسلوب .. ؟ تحت أى تهديد .. ؟ .. السلاح أم الكلمة .. ؟؟؟

كل الأصوات تلاشت فى سمعى .. أصوات أخرى حاصرتنى .. كل أحداث العالم سقطت فى قلبى .. كل أصوات الناس ملأت سمعى :

– لا تصدق كل هؤلاء .. كلهم كاذبون « سهاد » كانت تريد أن تسحق العالم لتحقيق أحلامها .. رئيس التحرير أيضا يسحق العالم ليحقق نجاحه .. « سيد منجد » ليس متهما وليس بريئا لعله أحمق .. لا يزال يعيش فى قلبه .. لا تصدق كل هؤلاء .. القضايا الحقيقية .. هنا .. فى الشارع فى إشارات المرور فوق الكوبرى .. بين الزحام .. هنا الخفقات متشابهة الارواح تبحث عن أرواح تألفها .. هنا نسيج واحد حكاية كبرى إسمها الحياة .. هنا كل القضايا تتشابك ... إصغى ! القضية التموينية أعظم المشاكل .. المسألة تتلخص فى العرض والطلب .. الحب يفعل المعجزات .. هو المعجزة ذاتها .. لولا اللون الأخضر ورئحة الزهور لتحولت الدنيا إلى صحراء .. قطرات الندى فى ساعة الصباح تروح عن النفوس .. الشعر الحديث لم يثبت وجوده حتى الآن .. القضية قضية وجود .. كيف يستطيع العالم الثالث أن يثبت وجوده بين العالم .. ؟

القضية قصية مواد تموينية .. قضية حب .. قضية إجرام .. قضية نسيان .. قضية .. ! قضية .. ! ...

شعر .. حياة .. أجوال .. كرة .. شطرنج .. حب ..
كل أحداث العالم سقطت فى قلبى .. ذبت فى الزحام .. نسيت كل شيء .. بمن ارتبطت .. ؟ بمت التقيت .. ؟ ماذا أرتدى .. ؟ بماذا أفكر .. ؟ عقل .. ؟ قلبى .. ؟ أم قدماى .. ؟

سيارات تمضى بسرعة .. أيادى تخرج رايات بيضاء وحمراء من النوافذ .. أصوات تصارع .. « الأهلى حديد » .

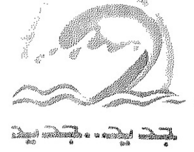
ظلال صورتى تداعبنى .. تتحرك على الأرض الرخامية البيضاء .. مكتب الأستاذ « خاطر » نصف مفتوح .. فتحته بحركة آلية .. ابتسمت ابتسامة آلية .. جلست جلسة آلية .. صافحته مصاحفة آلية .. سألته سؤالا آليا ..
- ماذا حدث .. ؟
- لا أعرف ..
- طاردتك حكاية فى الماضىء .. او قصة من الآتى ..

أشار بيده .. عبث بشعرات قليلة فى رأسه .. قال .
- نسيت ..
ثم تركنى وخرج مهرولا .. وقف بباب المكتب .. ينادى بصوت ضائع ..
يا .. أنت .. يا .. أستاذ .. يا ..
ثم عاد وهو يضرب كفا بالأخرى وقال :
- كتب كل شىء عن نفسه .. فى هذه الورقة .. لكنه نسى اسمه ..
ضحكنا ضحكا صاخبا .. تبددت صورة المكان .. عادت كل أحداث العالم تسقط فى قلبى .. تنازعت الأصوات فى رأسى ..
كلنا أبطال .. لم يحدث شىء من هذا .. شخصيات وهمية .. مجرد أوهام .. كل هذه الأحداث لم تحدث « الأهلى حديد » ..

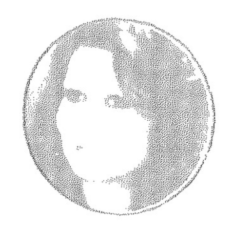


رقم الايداع : ٩٣١١

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 14 - 0107 - 6



جديد .. جديد



سائر بين الأشواك

كاميليا كمال الدين

غدًا سوف تنساه .. وعندما
تنساه تشعري وتعرف أن
الرجل الحقيقي هو الذي
يعرف متطلبا
ويوفر لها الإ
والحماية